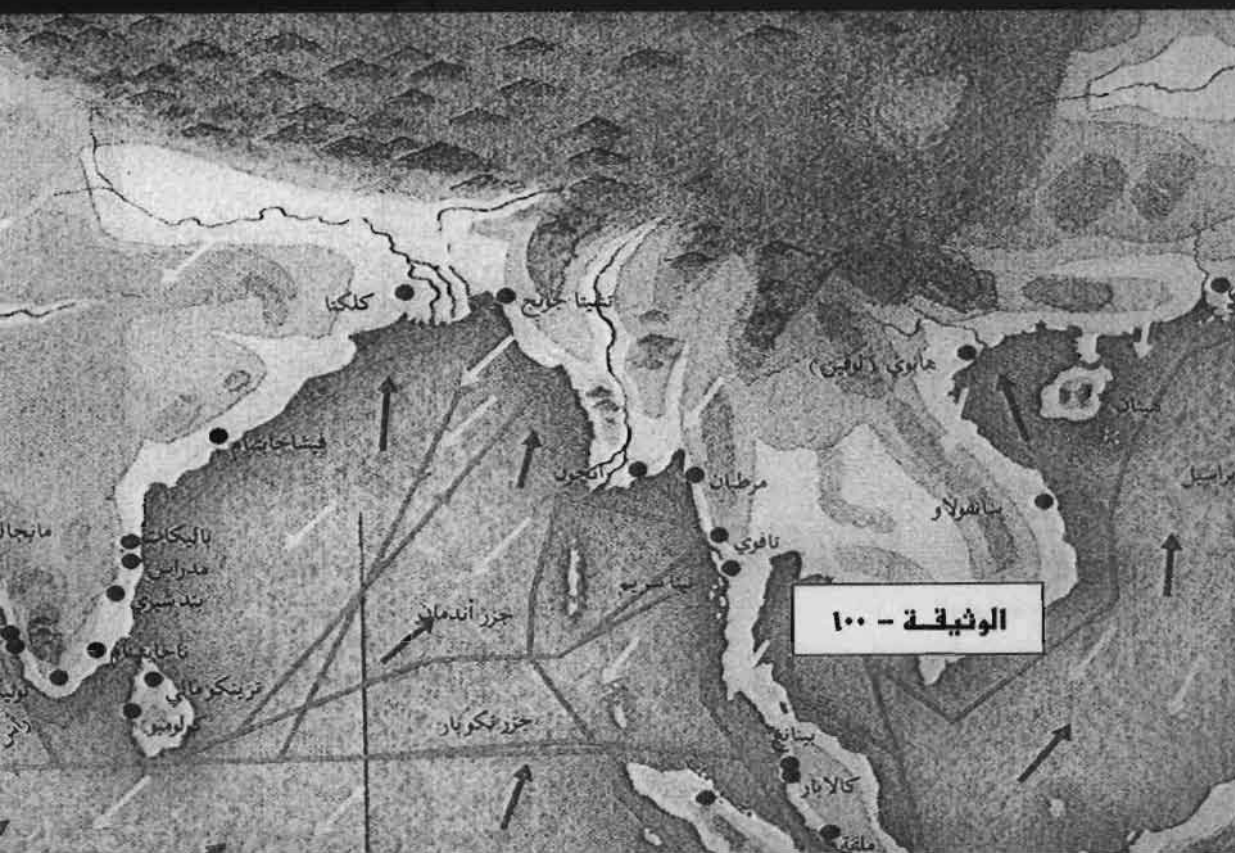


العلاقات التجارية بين دول

والشرق في بعض الجوانب

إن أهمية الخليج العربي ومدنه ليست مقصورة على عصرنا الحالي، وهو عصر استخراج البترول من البلدان العربية الواقعة عليه والمحيطة به، ولكن هذه الأهمية ترجع إلى قرون موعلة في التاريخ، فمنذ العصور القديمة وحتى عصرنا الحاضر، كان ولا يزال للخليج العربي أهميته الكبيرة في جوانب متعددة، ولكنني سأقتصر في هذا البحث على الجانب التجاري والعلاقات التجارية مع العالم الخارجي وخاصة بلدان الشرق الأقصى،



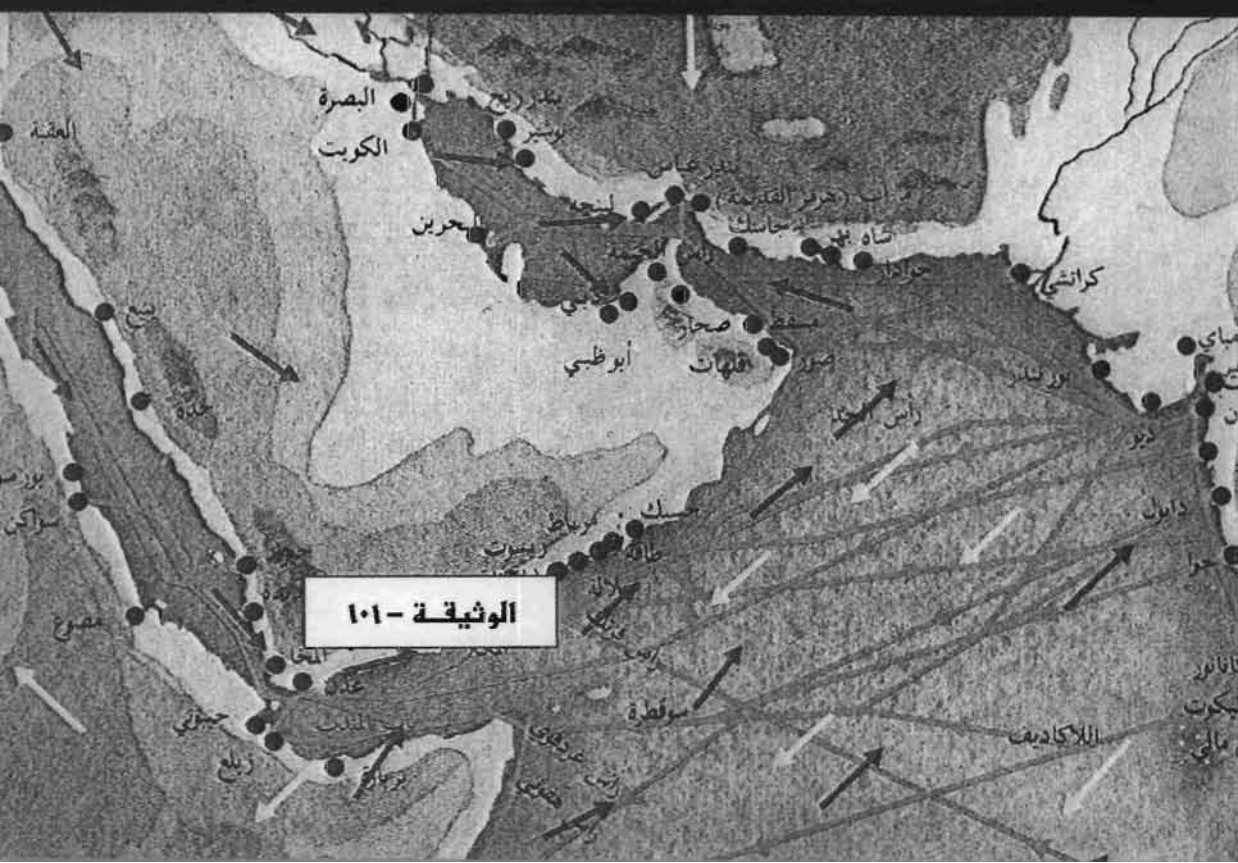
الخارج وبلدان الشرق الأوسط

الحضارية في العصور الوسطى

مبيناً ما ترتب على هذه العلاقات من تأثيرات مباشرة أو غير مباشرة في النواحي الحضارية من حيث التعرض للتغيرات التي حدثت في بعض الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والصناعية، وما ترتب عليها في الجوانب العلمية والدينية بين شعوب البلدان التي تمت بينها هذه العلاقات التجارية، مما جعل منطقة الخليج العربي محط أنظار الدول القوية في فترات التاريخ المتعاقبة .

بقلم : الدكتور

أحمد الشامي



فالموقع الجغرافي : لعب دوراً كبيراً في أهمية منطقة الخليج منذ

عصوره التاريخية القديمة ، ولكن هذه الأهمية وضحت وبلغت مكانة مرموقة في فترة العصور الوسطى . فالخليج إلى جانب كونه حلقة اتصال مباشرة بين الشرق الأقصى (الهند والصين وجزر الهند الشرقية) وبين دول العالم الإسلامي حينذاك ونعني بها العراق والشام وشبه الجزيرة العربية ومصر، كان كذلك حلقة اتصال غير مباشر بين الشرق الأقصى وشرقي أفريقيا، وجزر البحر المتوسط وبعض مدن جنوب أوروبا . أي أن الخليج العربي كان بمثابة الممر التجاري الذي يربط الشرق بالغرب قبل أن تعرف الطائرات والقطارات .

وكانت سفن التجارة القادمة من الشرق الأقصى ترسو في موانئ مدن الخليج مثل عمان، وهرمز، وسيراف، وقطر، والبحرين، وتفرغ حمولتها من التجارات، وكانت هذه المدن تقوم بتوزيع مايرد إليها على المدن الداخلية أو تحتفظ بجزء منه لتقوم سفن الخليج بتصديره مرة أخرى إما إلى حاضرة العالم الإسلامي (بغداد) أو إلى شرقي القارة الأفريقية (بلاد الزنج) وعلى هذا يمكن القول بأن مدن الخليج كانت مراكز رئيسية لتلقي الواردات التجارية من دول الشرق الأقصى، وهي في نفس الوقت مراكز لتخزين وتصدير هذه التجارات (البضائع) إلى بلدان العالم المختلفة . ولكي تتضح لنا أهمية الخليج التجارية لابد لنا من إلقاء نظرة سريعة مركزة على الموقع الجغرافي لهذه المدن، حتى نقف على نشاط السكان في كل مدينة منها .

فإذا ما تناولنا عمان نجد أنها قاعدة الخليج، تقع على مداخله من الجهة الجنوبية على الشاطئ الغربي، وفي نفس الوقت تطل على المحيط الهندي، أي أنها تقع على الطريق الرئيسي للتجارة الرائجة الممتد من الصين إلى المدن الواقعة على جانبي الخليج . وعمان مدينة جلييلة بها مرسى السفن من الصين والهند والزنج، وليس على بحر الخليج مدينة أجّل منها، وهي ديار الأزد^(١) .

وهي أحد المراكز الرئيسية للتجارة على الساحل الغربي للخليج، كانت تستقبل السفن الآتية من البصرة متجهة إلى الهند والصين وشرقي أفريقية أو بالعكس قصبتهما صحار وهي أعمر مدينة وأكثرها مالا بعمان^(٧)، وزاد المقدسي^(٨) على هذا القول بأنها دهليز الصين، وخزانة الشرق والعراق ومغوثة اليمن، ويصف ابن بطوطة^(٩) مزروعاتها وحياة السكان بها فيذكر لنا شجر الكندر وورقه الرقيق الذي يشق فيقطر منه سائل صفي أبيض هو اللبان، وأنه رآه بكثرة في مرسى حاسك وبيوتهم مبنية من عظام السمك وسقوفها من جلود الجمال، بها أسواق حسنة ومساجد معظمه نقية، وعادة أهلها أنهم يأكلون في صحن المسجد، فيأتي كل إنسان بما عنده، ويأكل معهم الوارد والصادر^(١٠)، وهم إباضية المذهب^(١١)، ومسقط قرية من أعمال عمان تبعد عنها خمسين فرسخاً، ومنها يستقي أرباب المراكب الماء من آبار عذبة بها^(١٢).

هرمز:

مدينة على الساحل إلى الأمام من رأس جسر يمتد إلى الشرق في مياه الخليج في مواجهة بندر عباس، ولذلك فهي تتحكم في المدخل الجنوبي للخليج العربي وتعتبر ذات استراتيجية هامة، وتسمى كذلك موغ أستان، ويقابلها في البحر جزيرة هرمز (الجديدة) ومدينتها تسمى (جرون)، زارها المقدسي في أواسط القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ووصفها وصفاً جيداً^(١٣)، معظم تجارها عرب وبعضهم من الفرس، وكلهم مسلمون يتكلمون العربية ولكن الفرس يتكلمون لغتهم إلى جانب العربية، . . . وكثير من تجارها أغنياء جداً، يملكون سفناً عديدة، ومن جملةهم رجل يعرف باسم حسن بن العباس له مراكب تسافر إلى أقصى بلاد الهند والصين. في مينائها أسواق حافلة لتبادل السلع والتجارات منها تحمل سلع الهند إلى العراقيين وفارس وخراسان، وهذه المدينة سكنى السلطان^(١٤).

كانت هرمز مدينة صناعية إلى جانب كونها مدينة تجارة، فقد ساعدتها البيئة الجغرافية في ذلك لأن تكوينات معظم أراضيها من الملح الدارني (سباخ)^(١١) فكان أهل هرمز يصنعون منه الأواني المزينة، والمنارات التي يضعون السرج عليها، وطعام أهل المدينة السمك والتمر المجلوب إليهم من البصرة وعمان، وكانوا يقولون عنه (خرما وماهي لوت بادشاهي) أي أن التمر والسمك طعام الملوك، ويستدل من هذه العبارة أن حياتهم الاجتماعية كانت مستقرة .

سيراف :

تقع على الساحل الشرقي للخليج، كانت بمثابة المركز الدولي للتجارة البحرية وخاصة في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة (٧ - ٩م) فكان التجار العرب من البصرة يصلون إليها بتجارتهم ثم يبحرون إلى بلاد الهند والصين، وفي كثير من الأحيان كانوا يبحرون إلى عمان أولاً ثم يواصلون إبحارهم إلى الهند والصين . والبلخي^(١٢) يذكر لنا ما كانت عليه سيراف من الأهمية الاقتصادية فيقول : "كانت سيراف قبل ذلك مدينة كبيرة مزدهمة بالمتاجر، تجارتها الأخشاب، والطيب والكافور والحرير، ولكنها فقدت أهميتها التجارية عندما وقعت تحت سيطرة أهل جزيرة قيس . ومن يتوجه إليها الآن يقصد الإفادة من مينائها أو ربما لإصلاح السفن، ويتغنى المقدسي بجمال هذه المدينة، ويذكر بيوتها أنها مبنية من خشب الساج والآجر وأخشاب أخرى تحمل من الشاطئ الأفريقي الشرقي، وهي طبقات على حافة البحر^(١٣) كانت سفن الصين تأتي إليها محملة بالتجارات تبادلها بتجارة العرب أو يبيعونها - ويبتاعون بدلاً منها ما يروق لهم من سلع وبضائع^(١٤) .

وكانت سيراف ترسل بهذه السلع والتجارات إلى المدن الداخلية في إيران مثل شيراز وغيرها، ويطلق التجار على سيراف اسم (شيلاو) .

وقد اشتهر أهل سيراف بحبهم للعمل في البحر لدرجة يصفها الأصطخري^(٩٠) بأن الرجل ربما يقضي جل عمره في البحر لا يخرج من سفينته إلا لضرورة قصوى، ويقص علينا بعض القصص عن هذا النوع من أهل سيراف، وأن أحدهم مكث في سفينته أربعين سنة على الرغم مما كان عنده من أموال طائلة، وكان أشهر أصحاب السفن في ذلك العهد هم محمد بن شاذان من أهل سيراف، وكان أكبر أهل صنعته ولهذا طلب ملك الهند أن ترسم له صورة لأن عادة ملوك الهند أن يقتنوا صوراً لأشهر الرجال في كل حرفة^(٩١).

جزيرة قيس :

بعد أن فقدت سيراف جزءاً كبيراً من أهميتها التجارية في القرن الرابع الهجري (١٠م) انتقل مركز الثقل التجاري على الساحل الشرقي للخليج إلى جزيرة قيس، فكان التجار يقصدونها للبيع والشراء، ومقايضة ضروب السلع كالحرير والكتان والقطن والقنب والحنطة والشعير والدخان والأرز وسائر أنواع الحبوب والبقول . وأغلب سكان الجزيرة دلالون ووسطاء بين هذا الحشد الغفير من التجار، وهي مرفأً مراكب الهند التي كانت تأتي بالتوابل والعطور، فيها مغاص على اللؤلؤ^(٩٢)، وفي أجزاء كثيرة حولها، يذكرها معظم الجغرافيين العرب في سياق حديثهم عن جزيرة هرمز .

قطر :

شبه جزيرة كبيرة يحيط بها قليل من الجزر الصغيرة، ولهذا يطلق المسعودي^(٩٣) عليها جزر قطر، وتقع على الجانب الغربي للخليج، حاضرتها

الدوحة ويسميتها البدو أحياناً (دوحة قطر)، وقد سميت قطر نسبة إلى ما تصنعه من برود حمراء من الصوف (رداء)^(١٦) ويقول أبو عبيد في هذا الصدد :
كسك الحنظلي كساء صوف وقطرياً فأنت به تفيد

ويبدو أنها كانت مشهورة قديماً باسم البدع وهو اسم الحي الذي نزلت به قبيلة السودان (السويدي) التي جاءت مهاجرة من أبوظبي، وما زال هذا الحي موجوداً أهلاً بالسكان^(١٧)، تذكرها المراجع العربية القديمة ولكنها لم تسهب في الحديث عنها . و سطح شبه الجزيرة عبارة عن صخور غير وعرة، وأجزاؤها الوسطى والجنوبية أكثر ارتفاعاً من مستوى سطح جزيرة البحرين^(١٨)، بها عيون ماء كثيرة .

الأعمال التجارية كانت تنحصر في صيد اللؤلؤ وتربية البعير والاتجار فيه ومعيشة السكان تقوم على صيد الأسماك ولكنهم كانوا كذلك تجاراً نشطين وملاحين حاذقين يعملون في نقل التجارات الداخلية من وإلى البحرين وسيراف والبصرة وعمان، وكانت مراكبهم تقدر بالثلاث تجوب مياه الخليج وتمخر عباب المحيط، بالإضافة إلى مراكب صيد اللؤلؤ ومراكب صيد الأسماك . ولم يكن لأهل قطر خبرة بصناعة السفن ولهذا تركوا أهل البحرين وبعض الإيرانيين يقومون بتصنيع هذه المراكب لهم، وقد اتخذ أرباب هذه السفن من قطر مركزاً لشحن المغامرات البحرية ضد سفن التجارة الواردة من الهند أو القادمة من البصرة^(١٩) .

كانت معظم تجارة قطر الخارجية ترتبط بالبحرين، ويبدو أن هذا الارتباط جعل الجغرافيين والرحالة العرب في العصور الوسطى يتكلمون عن قطر خلال كتاباتهم عن البحرين، فصاحب المعجم ينقل عن أبي منصور الأزهري خلال حديثه عن قطر قوله^(٢٠) :

"في أعراض البحرين على سيف الخط بين عمان والعقير قرية يقال لها قطر وأحسب الثياب القطرية تنسب إليها" ويبدو أن بعضاً من المشايخ المقيمين في البحرين في العصر الوسيط كانوا يجمعون الزكاة من أهل قطر، واستندوا إلى أن أداء الزكاة نوع من التبعية لهم، وظلوا متمسكين بوجهة نظرهم هذه حتى السبعينات من القرن الماضي (سنة ١٨٧٥) عندما تدخلت بريطانيا ونصحت شيخ البحرين بضرورة فصل مصالحه عن مصالح سكان البر القطري، وكان لايزال يعطي نفسه حق السيادة عليها^(٢١).

ولكن عندما استقرت الأوضاع في قطر، وتحددت العلاقة السياسية بينها وبين البحرين واتضحت الرؤيا بأن قطر يقوم على حكمها وتصريف شئونها وبذل الجهد في مصالحها ومصالح أهلها شيوخ من قبيلة المعاضيد، ونعني بهم أسرة آل ثان الذين احتلوا مكان الصدارة بين شيوخ القبائل الأخرى. أدى هذا بطبيعة الحال إلى التطور والنمو السريع في جميع نواحي الحياة التجارية والصناعية والثقافية والسياسية في البلاد كما نعيشه في وقتنا الحالي .

البحرين :

جزيرة كبيرة تقع قرب الساحل الغربي للخليج، إلى الشرق من مدينة هجر التي تعرف بالحسا (الأحساء)، وتحيط بالجزيرة الأم عدة جزر صغيرة يبلغ عددها ٣٢ جزيرة، من أهمها أم النعسان، والمحرق وسترة، والمنامة حاضرة البحرين، كثير من العيون العذبة تندفع من مياه البحر، يزرع بها نخيل البلح، والرمان والأترج وقصب السكر، وكانت هجر تسمى البحرين كذلك، مستقر القرامطة من آل أبي سعيد الجنابي^(٢٢)، ومعظم سكان البحرين وهجر عرب من قبيلة عبد القيس بن أفصى^(٢٣)، ويصف لنا ابن بطوطة^(٢٤) كيف شاهد الغواصين ينزلون إلى قاع البحر في المنطقة الواقعة بين البحرين وسيراف

في خور راكد في شهري أبريل ومايو حيث يأتي إلى هذه المنطقة الكثير من القوارب وفيها الغواصون وتجار من فارس والبحرين والقطيف، وبعد أن يحصل السلطان على خمس كمية اللؤلؤ المستخرج، وهو نصيبه الخاص^(٥٠)، يقوم التجار بشراء الكمية الباقية منه لكي يصدروه بدورهم إلى الهند والصين، والقليل منه إلى الدولة الروسية وبلاد الشام ومصر.

عرفت البحرين ركوب البحر كما عرفته عمان منذ عصر ما قبل الإسلام، وكان للبحرين وهجر سفنها، وتجارها الداخلية مع مدن الخليج، والخارجية مع بلدان الشرق الأقصى أو شرق أفريقيا أو اليمن (عدن) وعقب ظهور الإسلام أخذ العرب يشنون منها الغارات على المدن الفارسية^(٥١) وكانت أولى هذه الغارات بقيادة عثمان بن أبي العاص الثقفي والي البحرين (سنة ٢٢هـ/٦٤٣م) الذي قاد المجاهدين من البحرين في غارات جريئة على ساحل بلاد الفرس واستولى على شيراز وجنابه واصطخر وغيرها^(٥٢).

وأهل البحرين خبراء ممتازون في صناعة السفن، ذاع صيتهم في البحار لمهارتهم الملاحية وشجاعتهم أمام العواصف والأنواء. وكانت أشرعة السفن المصنعة في البحرين لا تقل شهرة عن صيتهم في صيد اللؤلؤ والمرجان وتجارتهما.

البصرة:

تقع على ساحل نهر دجلة قريباً من ملتقى النهرين، بينها وبين الأبله عشرة أميال إحدى أمهات العراق الشهيرة الذكر، ليس في الدنيا أكثر نخلاً وتمراً منها، يصنع العراقيون منه عسلاً يسمى (السيلان) وهو طيب^(٥٣)، يروي الأصمعي أنه سمع الرشيد يقول "نظرنا فإذا كل ذهب وفضة على وجه الأرض لا يبلغ ثمن نخل البصرة"^(٥٤).

كانت تأتي إليها تجارات الهند والصين وفارس وعمان واليمنية والبحرين لتصبها بدورها في عاصمة الدولة الإسلامية ببغداد عن طريق نقلها بالسفن النهرية، فيروى أن الخليفة المنصور قال : "هذه دجلة ليس بيننا وبين الصين شيء يأتيها فيها كل ما في البحر"^(٢٩).

وبالتالي كانت بغداد ترسل بتجارات بيزنطة والشام ومصر وما يرد إليها من تجارات حوض البحر المتوسط إلى بلدان الشرق الأقصى، وهذا يعطي دلالة قوية على أهمية موقع الخليج وبالتالي أهمية البلدان الواقعة على جوانبه في العلاقات التجارية بين الشرق الأقصى والشرق الأدنى بما في ذلك حوض البحر المتوسط وقد قيل : لو سُدَّ الخليج العربي لم تكن هناك مطلقاً أية أهمية تجارية للقسم الشرقي من حوض البحر المتوسط في التجارة العالمية^(٣٠).

الأبلة :

كورة بالبصرة، لاتقع الشمس على كثير من أراضيها ولا تبدو قراها من خلال أشجارها الجانب الغربي منها مأهول بالسكان^(٣١)، ذكرت في المراجع العربية القديمة أنها كانت زمن الفتح العربي الإسلامي مرفأً للسفن من الهند والصين وعمان والبحرين^(٣٢) وكانت مقصد تجار فارس والهند لعظم سوقها، ولكنها خربت، وهي الآن (القرن ١٤م) قرية بها آثار قصور ومبانٍ تدل على عظمتها^(٣٣).

عبادان :

جنوب البصرة على الجانب الشرقي لشط العرب، يركب منها للإبحار في اتجاهين : اتجاه إلى ناحية البحرين نحو بحر العرب، واتجاه إلى ناحية

سيراف وجنابه وفارس تسمى ميان روزان (وسط النهرين)^(٣٤)، كانت حصناً صغيراً عامراً على شط البحر فيه متاريس للقطرية وغيرهم من متلصصة البحر، كان الناس يقصدونها للإقامة بها متعبدين^(٣٥) وكان بها على الدوام مرابطون^(٣٦) وأكثر أهلها يصنعون الحصر من الحلفاء غير أن الماء بها ضيق والبحر عليها مطبق^(٣٧)، وكانت رسوم المراكب تجبى عندها^(٣٨).

دور الإنسان العربي

ارتبط سكان منطقة الخليج منذ القدم بالتجارة، وقد اضطرتهم البيئة الطبيعية التي أحاطت بهم إلى الاتجاه نحو البحر بحثاً عن وسيلة يستكملون بها معاشهم، ويحفظون بها حياتهم، ولم يجدوا أمامهم سوى ركوب البحر فأصبحوا تجاراً نشيطين، وصيادين حاذقين، ومغامرين شجعان، وغطاسين مهرة ينتزعون اللؤلؤ والجواهر من قاع البحر ويقايضون به على ما يحتاجون إليه من المواد الضرورية والكمالية اللازمة لحياة الإنسان.

حقيقة أن البعض من هؤلاء السكان احترف رعي الإبل والماشية والزراعة ولكن قلوبهم كانت تهفو دائماً إلى البحر، وأبصارهم عالقة بشواطئه، وعقولهم تعمل على أن يركبو صفحة مياهه، فكان لابد لهم من مراكب يصنعونها بأيديهم وقد تمكنوا من ذلك وتكونت لديهم أهم صناعة عرفها عالم العصر الوسيط ألا وهي صناعة السفن بأنواعها المختلفة، وأسمائها المتعددة وأغراضها الكثيرة وأصبحت المدن الواقعة على جانبي الخليج مراكز أساسية في تخرير بحارة مهرة وملاحين أكفاء لهذه السفن التي كانت تعبر البحار وتمخر عباب المحيطات. وقد عشق هؤلاء البحارة ركوب البحر ومواجهة الأخطار وتحدي الأمواج والرياح والأنواء والعواصف ونجحوا في ذلك إلى أقصى درجات النجاح. وقد نبغ بعض الملاحين العرب من أمثال محمد بن شاذان، وسهيل بن أبان

وهما عالمان كبيران بفنون البحار وما يلزمها من علم الفلك، ثم تبعهما جيل يتمثل في أحمد بن ماجد الذي درس ما خلفه هذان العالمان إلى جانب ما وجدته من أصول ثابتة لهذا العلم وقواعده في أوراق البردي الإيرانية القديمة (راه نامك) التي تناولتها أجيال بعد أجيال بالدراسة والتمحيص والإضافة حتى تكونت مدرسة لتخريج ملاحين مهرة خبراء في علم البحار وعلومها^(٣٩).

لم يكن من السهل مطلقاً على الشعب العربي الذي يعيش في مدن الخليج وسواحله أن يستوعب صناعة السفن التي نقل أصولها عن الهند، والتي ربما تأثرت بعد ذلك ببعض الجوانب المصرية في طريقة تثبيت صواريخها وأشرعتها كما يقول البعض ذلك^(٤٠)، وذلك لما كان لهذا الإنسان من دور فعال، وكذلك القابلية في تقبل علوم وصناعات جديدة لم تعرفها البيئة التي عاش فيها من قبل، فهو ليس ناقلاً لهذا الجديد فحسب، بل هو مطور ومعدل له إلى الأحسن بحيث يتناسب هذا الجديد وحياته العربية وظروفه البيئية، وسوف تتضح هذه الصورة عندما نتحدث عن تأثير الحضارة العربية بالتجارة.

كل ما أريد أن أثبته هنا هو أن الإنسان العربي كانت ولا تزال لديه القدرة على تلقي العلوم المختلفة وأسباب الحضارات المتنوعة من معينها إذا ما أعطيت له الإمكانيات الكافية وأتيحت له الظروف المناسبة، ليس هذا فحسب بل هو كذلك ذلك الإنسان المبدع والمجدد فيما يتلقاه حيث بصماته وتأثيراته على كل ما يصل إليه من علوم وحضارة السابقين حتى يستخرج علوماً وحضارة جديدة.

هذا الإنسان العربي الذي نقل جوانب متعددة من وإلى الحضارة العربية الإسلامية والتي أثر فيها وطورها، هو نفسه ذلك الإنسان الذي أثبت البحث التاريخي أنه صانع الحضارة المعينية في اليمن بعدما انتقل إليها من جزر البحرين^(٤١). وكان للتقارب اللغوي بين العرب عامة وعرب الخليج خاصة

وبين سكان العراق القديم دور قوي في وجود صلات تجارية وسياسية وتأثيرات ثقافية وحضارية ظلت قائمة بين شعوب هذه المنطقة قروناً عدة .

ويكفي للدلالة على الدور الكبير الذي لعبه الإنسان العربي في هذا المضمار أن نذكر بعض أسماء لرحالة عرب ومسلمين اتخذوا التجارة حرفة لهم ليتمكنوا من السفر والترحال، أو تجار استهوتهم الرحلات والأسفار فدوّنوا مشاهداتهم ووصفوا البحار والمحيطات والمدن والبلدان وأنواع التجارات، وأسماء السفن وأشكالها واستعمالاتها . وتعتبر كتاباتهم بحق الأساس الذي قامت عليه علوم الاقتصاد والاجتماع والتاريخ والجغرافيا والسياسة وهي علوم لا غنى عنها للمستغلين بالتراث العربي الإسلامي . من هؤلاء نذكر ياقوت الحموي الذي أرسله سيده في تجارة إلى جزيرة قشم في الخليج العربي وإلى عمان وديار الشام فأغرم بالرحلات ومعرفة البلدان فأخذ يتاجر في سبيل أن يرحل ويرحل حتى وضع معجمه الذي يعتبر بحق معجماً جامعاً في تاريخ وجغرافية المدن والبلدان، ثم المروزي شرف الزمان طاهر الذي عني بالنواحي الاقتصادية في رحلاته وأسفاره في منطقة الخليج والهند، وكذلك المقدسي المعروف بالبشاري، واليعقوبي الذي يعتبر بحق أول جغرافي بين العرب يعتمد على ملاحظاته ومشاهداته الخاصة في وصف الممالك، وأبو الفداء الذي ذكر أسماء ٦٠ عالماً جغرافياً مشهوراً ممن سبقوه وظهروا قبله، والمسعودي الذي ترك بصمات واضحة في هذه العلوم ثم شيخ الرحالة ابن بطوطة الذي جاب الآفاق وظل أكثر من ربع قرن في ترحاله وترك لنا معلومات قيمة ونادرة عن أماكن ما كان للعرب أن يعرفوها بدون أن يكون للعلاقات التجارية أثرها الكبير في دفع هؤلاء العلماء إلى أن يكونوا رحالة .

الملاحة البحرية وصناعة السفن

لاشك أن منطقة الخليج عرفت بناء السفن والخروج إلى ظهر البحار والمحيطات منذ عصور ما قبل الإسلام عندما نقلوا هذه الصناعة عن التجار والصناع الهنود، ذلك لأن سفن الهند التجارية كانت تصل إلى بحر الخليج وتبعد في نهر دجلة حتى المدائن (كتسيفون Ctesiphon)^(١٢)، ويذكر البلاذري^(١٣) أن الأبله كانت زمن الفتح العربي فرضة البحرين وعمان والهند والصين، ويقرر الطبري^(١٤) هذه الحقيقة بقوله : "إن الأبله كانت تسمى قبل الإسلام (فرج الهند) وكانت العلاقة البحرية والتجارية بين الأبله والهند وثيقة إلى حد كبير، ولكن لم يمنع هذا من وجود مغامرين (قراصنة) من الهند في البحر (مياه الخليج)، أخذ حاكم الأبله الفارسي في محاربتهم وربما كان لهؤلاء القراصنة مناطق يحتمون بها على الساحل .

ولكن هناك من المؤرخين الأوروبيين من ينكرون على العرب معرفتهم ركوب البحر واتخاذ التجارة حرفة لهم في عصر ما قبل الإسلام^(١٥)، ويكفيها رداً على هذه الآراء الإشارة إلى ما كتبه المؤرخ اللاتيني أميانوس مارسيلينوس (Ammianus Marcellinus)^(١٦) عن الملاحة في الخليج في عصر دولة الفرس الساسانية حيث يقول : "كان الخليج يعج بالملاحة، والسفن البحرية تختتم رحلاتها في (تيريدون) عند مصب نهر الفرات، ثم يصف المدن العربية المجاورة لفارس والمطلة على سواحل الخليج بأن لها موانئ محمية، ومراسي للسفن، وأن العرب قادرون على استغلال ثروات البر والبحر معاً . ويرى بيل Bell^(١٧) في دراسته لأوراق بردي أفروديت على عهد قرة بن شريك أن صناعة السفن في الشام والعراق وكل بلاد العرب قد تأثرت إلى حد كبير بصناعة السفن

في مصر، وأن صناعاً من المصريين شاركوا في العمل بهذه البلدان العربية، وأن مصر هي الأصل الذي نقل عنه العرب في سائر الجهات التي شيّدوا بها دوراً لصناعة السفن، كما أن الشعر العربي لم يخلُ من أدلة تقرّر معرفة العرب قبل الإسلام لركوب البحر، ومن أمثلة ذلك ما ذكره طرفة بن العبد^(٤٨) في قوله :

كأن حدوج المالكية غدوة خلايا سفين بالنواصف من دوي
عدولية أو من سفين ابن يامن يحور بها الملاح طوراً ويهتدي
يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم الترب المفايل باليد

ولماذا نذهب بعيداً، وهامم العرب الذين أسلموا يضطرون للهجرة إلى الحبشة وقد ركب هؤلاء البحر في سفن - بدون شك - عربية انطلقت بهم إلى مستوطنهم الجديد، وإلا بماذا نفسر ركوب هؤلاء العرب هذه المراكب، ومن أين جاءتهم؟! ؟

إن ما يستطيع المؤرخ قوله بهذا الخصوص هو أن السفن العربية سواء في الخليج أو في البحر الأحمر قد قصرت إبحارها على المياه الداخلية دون الخروج إلى عرض البحر والمحيط بسبب ما أصاب بلاد العرب عامة، والأجزاء الجنوبية خاصة، من اضمحلال اقتصادي شديد في القرن السادس الميلادي قبل ظهور الإسلام لدرجة تمكنت فيها الحبشة من بسط سيطرتها على اليمن (حمير) وظلت كذلك إلى مجيء الإسلام .

ولكن ما لبث الوضع أن تغير إلى أحسن مما كانت عليه السفن العربية أيام قوتها قبل انتكاستها، بعد اتساع رقعة العالم الإسلامي وانتشار الدين الجديد وبناء أسطول عربي إسلامي قوي بعث في نفوس العرب والمسلمين القوة والأمل من جديد، فأخذت طلائع العرب بسفنهم تظهر في الهند منذ سنة ٦٣٧م على عهد الخليفة عثمان بن عفان، ثم خرجت سفن عربية أخرى من

عمان والبحرين وتقدمت نحو مصب نهر مران، وخضع ملك كابل وأدى الجزية للعرب سنة ٦٦٤م، وفتح العرب السند سنة ٧١١م^(٤٩). حتى إذا كان عهد دولة بني العباس في بغداد أصبحت سفن المسلمين من كل نوع تبلغ الآلاف وتجوب البحار والمحيطات.

كانت السفن تبنى بألواح من خشب التك (الساج) وكانت هذه الألواح تثقب ثقوباً ضيقة وبحذر شديد، ثم تشد بعضها إلى بعض على جانبي الهيكل (العيدان)^(٥٠) بواسطة حبال مجدولة من شعر جوز الهند (النارجيل)^(٥١)، وكانت هذه الأخرام تدرس بكوابيل من الخشب الدقيق عوضاً عن المسامير التي لم يستعملها أهل الخليج في بناء سفنهم خشية أن تنجذب إلى جبال المغنطيس الموجودة في بحر الصين أو بحجة أن المسامير تصدأ وتسبب للخشب تلفاً، ولكننا نرى أن عدم استعمال المسامير في صناعة السفن كان لارتفاع أثمانها ارتفاعاً كبيراً بسبب ندرة استعمال الحديد في صناعة السفن، وربما لأنها كانت تسبب انفلاق ألواح الخشب الجانبية للسفن، لأن العالم لم يكن قد عرف بعد المسمار اللولبي Schranbennagel^(٥٢) وقد ظلت طريقة صناعة السفن على هذا المنوال حتى ما بعد القرن السادس عشر الميلادي، ففي أواخر هذا القرن حضر رالف فتش مع ثلاثة آخرين من الإنجليز وزاروا منطقة الخليج، وقد وصف فتش رحيله من هرمز إلى الهند، والسفينة التي ركب فيها بقوله: "ومنها ذهبت في سفينة مصنوعة من الخشب مربوط بعضه إلى البعض بحبال مصنوعة من قشر جوز الهند أو القنب، ولهذا كان الماء يدخلها كثيراً"^(٥٣).

ولم يكن استعمال المركب مقصوراً على نقل التجارات فحسب، سواء كانت داخل مياه الخليج أو خارجه، بل استعملت لنقل الرحالة والتجار والمسافرين كذلك ومنها ما كان يجمع بين كونه مراكب حرب ومراكب نقل، ومنها ما كان مقصوراً على نقل البضائع من موانئ الخليج إلى المدن الواقعة في

الداخل على الأنهار^(٥٤)، ومنها ما كان خاصاً لنقل الركاب من مكان لآخر، أي بمثابة الأتوبيسات النهرية في وقتنا الحالي .

ومن أهم أنواع هذه المراكب :

١ - البغلة : كانت من أكبر أنواع المراكب المعروفة في ذاك الوقت وحمولتها ٢٠٠٠ كيس تمر .

٢ - البوم : كانت تستعمل لنقل التجارات وحمولتها ١٢٠٠ كيس تمر .

٣ - شعوي : وهي مثل البوم في الحمولة والاستعمال .

٤ - البلم : كانت تستعمل لحمل الأخشاب والخضراوات من شط العرب إلى مدن الخليج .

٥ - الجاكر : نوع من السفن الكبيرة لنقل التجارات بين الصين ومدن الخليج .

٦ - الأجفان : هذا النوع مخصص لحماية دار السلطان في هرمز - لنشات حراسة - .

٧ - الترانكي : كان شائع الاستعمال في الخليج وخاصة في القرنين ١٧ و١٨ الميلاديين وكانت تسير بالمجداف والشرع معاً، وتستخدم في الحرب وفي نقل التجارات .

٨ - غلافه : استعملها عرب الخليج في حروبهم ضد البرتغاليين وجمعها (غلافات) .

٩ - تكنه : سفن صغيرة مسلحة قعرها مسطح ومطلي بالقار .

١٠ - جنك : ومصدرها الصين، وهذا دليل آخر على وصول سفن الهند والصين إلى الخليج .

١١ - هناك أنواع متعددة من المراكب الصغيرة مثل : الطيارات، والحديديات، الزبازب (مفردها زبب) وكان هذا النوع مخصصاً لركوبة السلطان في بغداد، السميريات، القفاف، الجلبه، الوينج، الزورق، الصنبوق، الجلبوت، الجهازى، ماشوة، بقارة وغنجة وغيرها^(٥٥) .

وقد أشار القرآن الكريم في كثير من آياته إلى السفن التي عرفها الإنسان منذ عهد نوح عليه السلام مثل قوله تعالى : "واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مُّعْرَقُونَ"^(٥٦) .

وقوله تعالى : "وحملناه على ذات ألواح ودُسُر . تجري بأعيننا جزاء لمن كان كُفِرًا"^(٥٧) .

وقوله تعالى : "وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجون منه حلية تلبسونها . وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون"^(٥٨) .

وكان لهذه السفن عدة مسارات خارج مياه الخليج، أما داخل الخليج فلم يكن هناك سوى مسارين، أولهما أن السفن كلها سواء الآتية من البصرة أو من أحد الموانئ الواقعة على أحد جانبيه كانت ترسو في عمان (مسقط أو صحار) حيث تتزود بالماء والطعام، وتحمل ما تريد من بضائع ومنها تتجه إلى مالابار حيث ترسو في كولام، وثانيهما أن السفن التي تريد الإبحار في موازاة الساحل الشرقي كانت تبحر من أي مكان داخل الخليج وتلتزم بالسير قريباً من السواحل الشرقية ثم السواحل الجنوبية لإيران إلى أن تصل إلى شواطئ السند،

وبلد السند هي المنصورة وأراضي الزط وما والاها من البلدان ثم تنتهي هذه السفن على سواحل الهند أو تتابع السير إلى الصين^(٥٩).

أما مسار السفن نحو شرق أفريقيا فكان يبدأ من أي من المراكز البحرية المتعددة سواء من البصرة أو من سيراف أو من عمان إلى مدغشقر، وكانت اليمن (عدن) المركز التجاري الرئيسي، أو بمعنى أصح مستودع التجارة الواردة من الصين والهند وبغداد وكانت السفن تنقلها من عدن إلى شرق أفريقيا أو إلى مصر التي كانت ترسل بسفنها عبر البحر الأحمر لتصل إلى عدن وتشتري ما تحتاج إليه من سلع مختلفة أو من بخور وعطور^(٦٠).

ويحدثنا المسعودي^(٦١) أنه ركب البحر في سنة ٣٠٤هـ (٩١٦م) من زنجبار (قنبلو) على الساحل الشرقي لأفريقيا مسافراً إلى عمان في مركب من سيراف يملكه أحمد بن جعفر السيرافي، وأن أقصى ما تصل إليه مراكب المسلمين في أسافل (جنوب) بحر الزنج، إقليم موزمبيق (سفال)، وإليها تقصد مراكب العمانيين والسيرافيين حيث يشترون العاج ويحملونه إلى الصين، وكان الصينيون يدفعون له أثماناً أكثر من التي تدفع في مثيله من بلاد أتام اوتنج - كنج^(٦٢). ويؤكد المسعودي أنه لولا تصدير العاج إلى عمان والهند والصين لأصبح كثيراً في بلاد الإسلام، وكانت معظم واردات الهند والصين من الجلود تأتي إليهم من شرق أفريقيا^(٦٣).

وإلى جانب هذه المسارات البحرية كان هناك مسار بري يبدأ من بغداد التي كانت مشحونة بكل أنواع التجارات المختلفة من بلدان الشرق الأقصى، فكان التجار يحملون بضائعهم على ظهور الدواب وينقلونها إلى سوريا ومنها إلى موانئ شرقي البحر المتوسط حيث تصدر إلى الدولة الرومانية أو إلى مدن جنوب أوروبا. وأهم ما كان يرسل إلى سوريا الحرير الخام وخيوطه ليعالج فيها بالصباغة والزركشة المطبوعة على المنسوجات قبل أن يعرض للبيع والاتجار،

أما بقية البضائع الأخرى فكانت تشمل الفراء والحديد والتوابل والأعشاب النباتية وقد شاعت هذه السلع في مدن حوض البحر المتوسط^(١٤).

العلاقات التجارية وأهميتها

في العصر العباسي

احتل الخليج العربي مكانة مرموقة في الحياة الاقتصادية لدولة بني العباس وأصبح جزءاً مهماً من أجزاء العالم الإسلامي بالنسبة لبغداد لاسيما في العصر العباسي الأول الذي تميز بالنشاط والانتعاش التجاري بشكل ملحوظ ذلك لأن الحضارة العربية الإسلامية كانت في حاجة كبيرة إلى بعض الجوانب المادية^(١٥)، فالخليفة ورجال البلاط وكبار رجال الدولة والتجار كانوا في حاجة دائمة إلى المواد الترفيهية والكماليات الأجنبية الواردة من الهند والصين وأفريقيا^(١٦).

وكان لابد لمدن الخليج أن تلعب دورها البارز في توسيع دائرة العلاقات التجارية بين بغداد وبين بلدان الشرق الأقصى لما لهم من قدم راسخة في مياه البحار خاصة وأن الخليج هو المنفذ البحري الطبيعي للدولة العباسية التي اتجهت نحو الشرق وبعدت عن مركز الثقل التجاري الذي كان موجوداً في البحر المتوسط على عهد الأمويين، وأصبح من الضروري أن ينتقل مركز الثقل التجاري إلى الخليج العربي لقربه من حاضرة العباسيين في بغداد ونشطت الحركة التجارية نشاطاً فائقاً بين مدن الخليج وبين الهند والصين على وجه الخصوص وأخذت السفن العربية الإسلامية تكثر وتزيد حتى أصبحت التجارة الإسلامية مظهراً من مظاهر أبهة العرب والمسلمين، وأصبح التاجر الغني الذي لديه إمكانيات واسعة في الاتجار وامتلاك السفن وتشغيل أمواله في الجوانب

التجارية المختلفة هو ممثل لجانب مهم من جوانب الحضارة الإسلامية، ونعني به الجانب الاقتصادي أو المادي . وكانت النتيجة المباشرة لازدياد الحركة التجارية بين هذه البلدان أن استعادت مدن الخليج العربي مكانتها السابقة في عالم التجارة والاقتصاد، فكانت سفن الخليج التجارية تبحر من مياه الخليج وهي محملة بالبضائع التجارية المختلفة من بغداد والبصرة والبحرين وعمان متجهة إلى الهند والصين أو أفريقيا لتعود من هذه البلاد محملة بالبضائع التجارية فتغرق بها أسواق العالم الإسلامي .

وتتمثل أنواع التجارات في السلع الآتية، فمن الصين كان يرد علي مدن الخليج اللبان والكافور والقرنفل والعود الهندي، والقمح وهو كثير جداً والأرز والسكر وكان يفضل السكر المصري والبقول مثل العدس والحمص وكثير من أنواع الفاكهة^(١٧) . وكثير من المنسوجات الحريرية وهو لباس الفقراء والمساكين في الصين ولولا التجار ما كانت له قيمة، أما المنسوجات القطنية فكانت غالية الثمن . ومما شملته السلع الواردة من الصين الفرند والكيخا والمسك والسروج والصيلبنج والدارصيني والخولنجان وفراء السمور والسنجاب والقاقم، والجلود المختلفة والشمع .

أما المعادن فكانت تتضمن الذهب والنحاس وكانوا يستخرجونه من أماكن خارج تكدا، والأسلحة وسهام الحرب، وحراب صيد الأسماك، وخشب الأبنوس .

ومن الهند كانت ترد كذلك كثير من التجارات مثل الياقوت بألوانه المختلفة من سرنديب (سيلون) وكان يستخرج من شواطئ الجزيرة ويحفر عليه، والألماس والعود الهندي والتوابل والفلفل، والنارجيل، والخيزران، وزهرات يصنع منها العطور وكذلك البقم وهو نبات عروقه دواء يشفي من لدغة

الثعبان وقد جربه البحريون، والأرز، والبهار والأفاويه وأنواع الأدوية والعقاقير .

ومن جزر بحر هركند تحمل مراكب الخليج الكافور والنارجيل وخشب البقم والغيلة بها كثيرة^(٦٨) . وحول هذه الجزر يوجد أحسن أنواع العنبر وهو النوع المدور الأزرق النادر وهو كبيض النعام أو دونه^(٦٩) . ومن الهند كذلك كانت السفن تأتي محملة بالصندل، والكافور والقرنفل، والقاقلة والكبابه، والساج والخشب المعروف بالدارزنجي والقنا والعاج والطيب .

ومن المعادن الرصاص القلعي من كله، والحديد والنحاس من السردن وقد انحصرت تجارة جزر الهند الشرقية في العنبر والكافور^(٧٠) وكان التجار العرب يبادلون به بعض السلع الأخرى من الصين .

وتمثلت صادرات مدن الخليج في اللؤلؤ والجواهر والأحجار الكريمة^(٧١) والزيتون التي يحمل منها إلى الآفاق^(٧٢) والخيول العربية من ظفار، والفضة، والآلنك والكبريت، والنفط، وماء الورد، وكان أهل الصين لا يفضلون أي نوع من اللؤلؤ على ذلك المستخرج من الخليج^(٧٣) .

هذه البضائع كلها كانت تأتي إلى مدن الخليج التي كانت جميعها بمثابة مخازن كبيرة لسلع الشرق الأقصى، ومراكز إمداد وتموين تجاري للمدن الداخلية في إيران والعراق والشام وشبه جزيرة العرب وغيرها من دول البحر المتوسط .

وكانت مدينة ظفار (باليمن) تتبع أسلوباً طريفاً في استقبال سفن التجارة الواردة إليها من بلدان الشرق الأقصى، فإذا ما وصلت إحدى السفن خرج عبيد السلطان إلى الساحل وصعدوا في صنبوق إلى المركب، ومعهم الكسوة الكاملة لصاحب المركب أو وكيله، وللربان وهو الرئيس، ولكاتب المركب (الكراني)

وتبعث الضيافة لكل من بالركب ثلاثة أيام وبعدها يأكلون بدار السلطان، وهم يفعلون ذلك استجلاباً لأصحاب المراكب .

هذه هي التجارات والسلع التي قامت عليها العلاقات التجارية بين دول الشرق الأقصى وبين مدن الخليج العربي والتي كانت تنقل منها إلى كل صقع في العالم الإسلامي، بل إلى كثير من بلدان جنوب أوروبا - كما ذكرت - عن طريق المسار البري الموصل إلى سوريا ثم إلى شرقي البحر المتوسط، وما زالت هذه العلاقات التجارية قائمة إلى يومنا هذا بين الجانبين، وهي وليدة تسودها روح التعاون الاقتصادي المثمر القائم على الثقة والتفاهم حيث نجد أن معظم واردات مدن الخليج مثل الأرز وهو الغذاء الرئيسي لأهالي مدن الخليج، والحبوب والبقول والفواكه إلى جانب كثير من المنسوجات الصوفية والحريرية والقطنية والمصنوعات الميكانيكية والآلية الحديثة . تأتي من الصين والهند وجزر الهند الشرقية وإن كانت اليابان ومدن أوروبية كبيرة قد دخلت إلى هذا الميدان في العصر الحديث .

وكانت طريقة البيع والشراء لهذه السلع التجارية تتم عن طريق المياضنة في أول الأمر . ويروي لنا الرحالة العربي ابن بطوطة^(٧٤) طرائف عن نظام المياضنة في الصين فكان التجار العرب يذهبون بتجاراتهم إلى أسواق مخصصة في حافة أرض الظلمة ويتركونها في هذه الأماكن ثم يأتون إليها في اليوم التالي حيث يجدون بجوارها فراء السمور والسنجاب والقاقم كمقابل عن هذه التجارات فإن رضي صاحب التجارة حمل الفراء وترك بضاعته وانصرف وإن لم توافقه الصفقة ترك كل شيء كما هو إلى اليوم التالي فإما يجد أن المشتريين من أهل الصين قد زادوه في أنواع الفراء وإما أنهم حملوا فراءهم وتركوا له متاعه (بضاعته) فيأخذه وينصرف .

وقد استخدم أهل الصين وأهل فارس والعراق هذه الجلود الفرائية في ملابسهم بوضعها حول العنق لتقيهم شدة البرد .

ولكن عندما تطورت نظم الحياة في العالم عرفت الدول السكة المعدنية والفضية والذهبية واستعملتها في بيعها وشرائها وكانت الصين أول من استعمل العملة الورقية حيث اتخذت لها عملة من الكاغد الصيني في حجم كف اليد وكان كل ٢٥ كاغداً تساوي ديناراً^(٧٥) .

ولم تكن التجارة معفاة من الرسوم الجمركية، فقد عرفت بلدان الشرق الأقصى وخاصة الصين نظام الضريبة في التجارة الواردة، وأغلب الترجيح أنها نقلته عن نظام العشور الذي كان سائداً في الدولة الإسلامية وقتذاك والذي ربما انتقل إلى الصين بعد أن تكونت فيها مراكز تجارة إسلامية كبيرة واستقرت بها جاليات عربية وإسلامية عظيمة، فالمراجع التاريخية وكتب الرحالة والجغرافيين^(٧٦) الذين عايشوا هذه الحياة في هذه البلدان يروون لنا كيفية نظام تحصيل ضريبة التجارة الواردة بقولهم " . . . ومتى وصل مركب يصعد إليه صنبوق السلطان، فيسأل عن المركب من أين قدم ؟ ومن صاحبه ؟ ومن ربانه ؟ وما هي شحنته (وسقه) ؟ ومن قدم فيه من التجار وغيرهم فيعرف هذا كله ويعرضه على السلطان فمن كان يستحق ضيافة السلطان استضافه عنده وأكرم نزله " .

من دراسة هذه النصوص يمكن لنا القول بأن العرب عرفوا منذ بداية العصور الوسطى نظام التفتيش الجمركي والرقابة البحرية وتحصيل ضريبة على البضائع الواردة وهي المعروفة اليوم بالرسوم الجمركية لحماية التجارة الداخلية، وأن بلدان الشرق الأقصى نقلت هذا النظام ولكنها عدلته بما يتلاءم مع طبيعة الحياة فيها، وأن العلاقات لم تكن محصورة في نطاق الجوانب

التجارية بل تعدتها إلى الجوانب الإنسانية حيث كان السلاطين يستضيفون أصحاب المنزلة ممن يكونون على ظهر السفينة .

هذه الجوانب الإنسانية في العلاقات التجارية هي التي سمحت للتجار اليهود الموجودين بإقليم بروفانس بفرنسا^(٧) أن يشاركوا بتجارتهم مع دول العالم الإسلامي وبلدان الشرق الأقصى، على الرغم من سيطرة التجارة العربية الإسلامية وأساطيلها التجارية على بحار ومحيطات الشرقين الأقصى والأوسط، وأهم ما كان يجلبه هؤلاء التجار اليهود إلى الشرق الخدم والغلمان والجواري والديباج والخز الفاثق، وفراء السمور، وكانوا يركبون البحر من جنوب فرنسا إلى الفرما (بورسعيد الحالية) ثم يحملون تجارتهم على ظهورهم إلى القلزم (السويس) ثم يركبون البحر الشرقي (الأحمر) حيث يواصلون إبحارهم إلى عدن أو إلى موانئ الهند في مراكب عربية، وهناك يبادلون ما معهم من تجارة ويشتررون المسك والعود والكافور والدارصيني وغير ذلك ثم يعودون من نفس الطريق وفي بعض الأحيان كان هؤلاء التجار اليهود يسلكون الطريق الثاني المؤدي إلى الفرات حيث ينزلون في أنطاكية ثم يتجهون براً إلى الفرات حيث تنقلهم المراكب العربية الإسلامية من دجلة إلى الأبله ومنها يبحرون في مراكب عربية أخرى أكبر من السابقة حيث يصلون إلى عمان أو الهند أو السند، وكان هؤلاء يتكلمون العربية والفارسية والتركية إلى جانب لغتهم الفرنجية .

ومن المرجح جداً أن هؤلاء التجار من اليهود كانوا يبيعون تجارتهم ويشتررون بدلاً منها ما يريدونه من تجارات موجودة في مراكز التجارة العربية الإسلامية التي كانت بمثابة مستودعات أو مخازن كبيرة لبضائع وسلع الهند والصين وغيرها من بلدان الشرق الأقصى والموجودة في الأبله وهرمز والبحرين

وعمان وعدن حتى لا يتحملوا كثرة التكاليف ومشقة السفر في تنقلاتهم وسفرهم بالبحر في سفن عربية إسلامية لاسيما وأن سفنهم كانت تأتي بهم فقط إما إلى الفرما أو إلى أنطاكية .

كان من الطبيعي تحت ظروف المنافسة التجارية الشريفة ألا يستمر هؤلاء التجار اليهود في مزاوله تجارتهم، فقد تمكن التجار العرب الشاميون من بسط سيطرتهم التجارية على حوض البحر المتوسط في القرن الثالث والرابع الهجريين (٩ - ١٠م) فكسدت تجارة اليهود في منطقة الشرقين واستقروا بجوار نهر الرون وأصبحنا لا نجد لهم في هذا العصر وما يليه من العصور الوسطى ذكراً أو شأنًا، لأن انتشار التجارة العربية الإسلامية ونموها أخرج التجار الأجانب من البحار التي سيطرت عليها سفن التجارة العربية الإسلامية، لأن أوروبا لم يكن لها حتى ذلك الوقت أي سلطان على البحر المتوسط، الذي أطلق عليه لفظ البحر العربي^(٧٨) .

أثر العلاقات التجارية في بعض الجوانب الحضارية

ترتب على اتساع رقعة الاتجار انفتاح مجالات واسعة أمام العرب والمسلمين كانت مغلقة أمامهم من قبل، فقد غطت التجارة العربية الإسلامية مساحة عظيمة من عالم العصور الوسطى حيث انتشرت من حاضرة الدولة الإسلامية (بغداد) عبر الخليج العربي وهو المنفذ الطبيعي على البحار والمحيطات إلى أقصى الصين شرقاً، ثم اتجهت إلى الغرب فوصلت إلى أقصى الشمال من شبه الجزيرة الأيبيرية (الأندلس)، وأصبح في مقدور التجار العرب

والمسلمين أن يتنقلوا بين المدن والبلدان يبيعون ويبتاعون دون أن يحول بينهم وبين تجارتهم حائل^(٧٩) وأصبحت الرحلة في سبيل التجارة أو التجارة في سبيل الرحلة لاكتساب المعرفة أوسع آفاقاً وأكثر أماناً واطمئناناً ومن الطبيعي أن هؤلاء التجار الرحالة لم يكونوا يمرون ببلد أو قطر دون أن يتعرفوا إلى أهله، ويقفوا على أحوالهم وأخبارهم وعاداتهم وتقاليدهم ومسلكتهم مع الغرباء، فدونوا كل ما رأوه وما عايشوه وقصوا كل ما وقع لهم من نوادر وحكايات وما قابلوه وما تخطوه من صعوبات فنقلوا صورة واضحة عن كل جوانب الحياة، وتأثرت المجتمعات العربية والإسلامية تأثيراً كبيراً في كثير من نواحي حياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والصناعية، وبالتالي تأثرت الحضارة العربية الإسلامية بهذه المؤثرات ولكنها مع كل هذا فقد أثرت بدورها على كثير من الحضارات الأخرى، ومن ضمنها الحضارات التي كانت قد تأثرت بها من قبل .

فمما لاشك فيه أن حضارات عالم العصور الوسطى كانت متقاربة ومتأثرة كل بما سبقها أو بما عايشها من حضارات نتيجة الاتصالات المختلفة بين الشعوب وخاصة الاتصالات التجارية والبعثات السياسية والاحتكاكات الحربية فحضارة الرومان مثلاً تأثرت وأخذت كثيراً من حضارتي الإغريق والفرس، كما أن حضارة الفرس كانت قد تأثرت بحضارة اليونان من قبل وكذلك بالنسبة للحضارة العربية الإسلامية التي تأثرت في بادئ أمرها بالحضارة الآرامية ثم ما لبثت أن تأثرت بالحضارات اليونانية والفارسية والرومانية بل بحضارة الهند والصين وغيرهما من البلدان التي اتصل العرب والمسلمون بها عن طريق التجارة والسياسة أو الفتح والغزو^(٨٠)، ولكن الحضارة العربية امتازت بأنها مزجت كل هذه التأثيرات الحضارية وأخرجت منها حضارة تتمشى مع الروح والتقاليد والعادات والنظم التي تتفق مع التشريع الإسلامي^(٨١) .

ففي مجال الحياة الاجتماعية نجد أن نواح ليست بالقليلة في عادات العرب في طعامهم وملابسهم وموسيقاهم وغنائهم قد تغيرت بسبب اختلاط العرب بالموالي^(٨٢) الذين قامت على أكتافهم تطورات كبيرة في المجالات التجارية والزراعية والصناعية . فالأسواق التجارية كانت مراكز للبيع والشراء وملتقى كبار التجار حيث تعقد الصفقات بين تجار مسلمين وغير مسلمين، عرب وغير عرب، وكان التعارف يتم أثناء البيع والشراء، وكان كثير من الفرس والعرب يعملون في هذه الأسواق التي اختلطت فيها عناصر مختلفة من هنود وصينيين وظهرت عادات وتقاليد مجلوبة من أماكن قاصية أو دانية، فتأثرت جوانب من حياة العرب (والفرس والهنود والصينيين) الاجتماعية نتيجة هذا الاختلاط فقلدها في معاشهم، وحاكوها في سلوكهم وتصرفاتهم اليومية، وانتقلت هذه العادات من الأسواق إلى الأمصار ثم إلى البيوت والأسر والأفراد حتى أصبحت جزءاً لا ينفصم من حضارة المجتمع الذي انتقلت إليه .

فالمقدسي يذكر لنا أن أهل سيرا ف كانوا يمدون شراعات بين الأسطح لتقي التجار لفحة الشمس الحارقة أثناء مزاوله البيع والشراء، وقد نقلت هذه العادة مع انتشار حركة التجارة في مدن الخليج كلها ثم ما لبثت أن انتقلت إلى أسواق مدن البلدان الإسلامية الأخرى، ثم استعملها أهل مصر على صحن مساجدهم عند صلاة الجمعة لتقي المصلين حرارة الشمس، ثم استعملتها مساجد البصرة وشيراز كذلك، ويرجع المقدسي أن أصل هذه الشرع يعود إلى عصر الحضارة اليونانية في الشرق حيث كانوا يضربونها على حلقات ملاعبهم . ص ٢٠٥ ، ٤٣٠

ومن أمثلة ذلك في مجتمعنا العربي بمنطقة الخليج نجد أن نظام المائدة قد تغير عن ذي قبل حيث تنوعت أصناف الطعام وكثرت أنواع الفاكهة

المستوردة من الصين والهند على المائدة أثناء الوجبة الواحدة بعد أن كان العربي لا يحب إلا صنفاً واحداً من الطعام على مائدته .

واستعمل العربي بكثرة أغلى الثياب المصنوعة في الهند، وكان بعضها موشى بالذهب أو الفضة واتخذت المرأة العربية في الخليج حلياً لزينتها من الجواهر واللؤلؤ والذهب والفضة وزينت بيتها بخزائن وزهريات من صنع الهند والصين ملأتها بما يطيب لها من نباتات عطرية^(٨٣) .

وفي مجال العمارة نجد أن البناء في عصر صدر الإسلام كان بسيطاً وكانت البيوت مكونة من دور واحد ثم ما لبث فن العمارة منذ القرن الثالث الهجري (٩م) أن تأثر من ناحية الشكل والزخرفة والرسوم وما أدخل عليه من حمامات رسمت قاعاتها وما غرس به من حدائق وبساتين، وانتشر هذا الطراز في العالم الإسلامي العربي بصفة عامة وفي العراق بصفة خاصة، وكان لمشاهدات التجار والرحالة العرب وما نقلوه من أوصاف للقصور والأبنية التي زاروها أثر كبير على العمارة، فالخليفة المتوكل على الله أحدث بناءً لم يكن الناس يعرفونه وهو المعروف بالحيري^(٨٤)، وكان أصل هذا البناء يونانياً شرقياً وأصبح هذا النمط متبعاً في بناء القصور الكبيرة التي كان لها مقدم وثلاثة أجزاء أوسطها الباب الأكبر، وإلى جانبيه البابان الصغيران (ويسميان عند العرب الكمين) الأكمام ولم يلبث الناس أن قلدوا هذا الطراز المعماري تيمناً بالخليفة المتوكل^(٨٥) .

ولكن حفائر سامراء قدمت للأثريين طرازاً آخر من هذا البناء حيث وجد أن الباب الأوسط يزيد على البابين الجانبيين في الارتفاع والاتساع، وهذا طراز هليني متأثر بالحضارة اليونانية في الشرق، وهو مأخوذ من بوابات الأحياء وأقواس النصر، وقد بنى أحمد بن طولون واجهة قصره في مصر على هذا النمط ولكنه جعل الأبواب الثلاثة متساوية في الارتفاع والاتساع^(٨٦) .

كما نقل طراز سامراء في بناء مؤذنة مسجده التي مازالت قائمة تشهد على هذا التأثير الذي استحدثه العراق من معابد الفرس المعروفة باسم زاجورات^(٨٧).

ويذكر هيل Hell أن كثيراً من هذه التأثيرات التي دخلت على فن العمارة في العالم الإسلامي كان مرده استخدام عمال بيزنطيين أو من رعايا الشعوب التابعة للدولة الإسلامية . ويتضح هذا التأثير في قبة الصخرة على مسجد عمر بن الخطاب التي بنيت في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وتشير الدراسات التي أجريت على أوراق البردي أن هذا التأثير شمل المساجد والقصور ولكن ما أدخله العرب المسلمون على التأثيرات البيزنطية من عناصر فنية جديدة مثل الزخرفة بالكتابة، والنقش والأشكال الهندسية جعل طرز البناء طرزاً إسلامية^(٨٨) ويذكر بارتولد أن الفرس والنصارى كانوا يقومون ببناء المساجد وقصور الخلفاء ولهذا تأثرت هذه الأبنية بفنونهم^(٨٩).

كذلك أدخل أهل سامراء على **الحمامات العامة** التي عرفها العرب والمسلمون عن الرومان نوعاً من الزخرفة التي عرفوها عن الفرس قبل عهود الإسلام فبدلاً من استعمال القاشاني الملون أو الموزايكو في تزيين ردهات الحمامات وغرفها مثلما استعملها أهل الشام ونقلوها عن حضارة اليونان في عصورها الأخيرة في الشرق^(٩٠) نجد أن أهل سامراء كانوا يستعملون الصور في تزيين الردهات والحجرات وأكثر ما رسموه في هذه الحمامات صورة العنقاء^(٩١) ثم انتشرت هذه الظاهرة في حمامات المدن الإسلامية الأخرى مثل فارس والعراق والشام ويرجع السبب في انتشارها إلى العلاقات التجارية التي ازداد نشاطها كثيراً بين دول هذه المنطقة والتي لعب أهل الخليج فيها الدور الأول بسفنهم ورحلاتهم التجارية .

واستعمل العرب أسلوب الزخرفة والتطعيم بسن الفيل والذهب والفضة فقد استعمل خلفاء بني أمية هذا الأسلوب في قاعات جلوسهم . ويروي المؤرخون

بعض تفاصيل عن الشجرة الذهبية التي كانت تتوسط منظره الخليفة والفيل الذهبي ذي العيون الياقوتية، وروائع الفن الهندسي في زخرفة التناورات، وقد أخذت هذه الجوانب عن الهند والصين ثم انتشرت في المشرق العربي الإسلامي وخاصة على عهد العباسيين حيث عمت مساجد العالم الإسلامي، ولكن أدخلت على هذه الفنون الزخرفية تعديلات تواكب المجتمع الإسلامي.

وفي الجانب الثقافي وكنتيجة لانتشار حركة التجارة العربية الإسلامية بين مدن الخليج وبلدان الشرق الأقصى نجد أن العرب اتخذوا اللغة الفارسية للتخاطب بها مع تجار هذه المناطق في الهند والصين وجزر جنوب شرقي آسيا، والجاحظ^(٩٢) يذكر لنا أن عامة أهل العراق كانوا يتحدثون بالفارسية رغم أنهم عرب، ويعمل ذلك أنهم وجدوها خفيفة على لسانهم. ولكنني أرى أن السبب في تحدثهم بالفارسية هو مزاوله معظمهم - إن لم يكن جميعهم - لأعمال التجارة واضطراهم للتعامل مع التجار القادمين إليهم من الفرس أو الهند أو الصين وعقد الصفقات التجارية معهم في أسواق مدن الخليج، فكان لابد لهم من التفاهم مع هؤلاء التجار بلغة يفهمونها وكانت هي اللغة الفارسية.

وقد ترتب على استعمال اللغة الفارسية في الأعمال التجارية والملاحية أن دخلت أعداد غير قليلة من المصطلحات البحرية والكلمات الفارسية في اللغة العربية مثل ناخدا (صاحب السفينة)، ربان أو معلم (قائد السفينة) وربما كان أصلها (ره بان)، سرهنك (مرشد الميناء المسئول عن إرساء السفينة)، ديدبان (حارس المركب)^(٩٣).

وليس معنى هذا أن اللغة العربية لم تؤثر بدورها في اللغة الفارسية واللغات الأخرى فقد دخلت كلمات عربية كثيرة إلى لغات هذه الشعوب نتيجة الاتصال التجاري على وجه الخصوص بل إن اللغة العربية

والخط العربي فرضا نفسيهما على الفرس والرومان فكتبت الفارسية والتركية بالخط العربي، كما دخلت مصطلحات وكلمات عربية كثيرة في لغات شعوب وسط آسيا وأوروبا^(٩٤).

وربما يظن ظان أن الثقافة العربية تأثرت بثقافة اليونان أكثر من تأثرها بأي ثقافة أخرى، وردنا على هذا القول بالنفي الصريح، لأن الثقافة العربية تأثرت حقيقة تأثراً كبيراً بالثقافة الفارسية، لأن دولة الفرس انصهرت في الدولة الإسلامية، ولأن حياة الفرس الاجتماعية كانت تحت أعين العرب يعرفونها ويعايشونها فتذوقوا شيئاً منها على عكس الحياة اليونانية التي كانت نائية عن العرب، ولم يحدث بينهم وبين العرب اختلاط كما حدث مع الفرس، كما أن نظم اليونان تخالف تعاليم الإسلام فهؤلاء لهم نظمهم الاجتماعية والسياسية التي لم يعرفها العرب، ولهذا نجد أنه من العسير أن نجد كلمات أو اصطلاحات يونانية في الأدب العربي شعراً أو نثراً، ولا يمكن أن نجد شاعراً من أصل يوناني أو روماني انصهر في البوتقة العربية وأخرج للثقافة العربية شيئاً، وعلى العكس من ذلك نجد أن عدداً غير قليل ممن اشتغلوا بالأدب العربي ترجع أصولهم إلى الفرس، كما تأثر مؤرخو العرب المسلمون في تلك العهود بطريقة الفرس في تدوين الأحداث التاريخية ولم يتأثروا بالنمط اليوناني^(٩٥).

حتى في جانب التعليم الأولي (الكتاب) ظهرت آثار العلاقات التجارية لأنه كان من نتائج تطور وازدهار التجارة في منطقة الخليج أن أصبح التجار في حاجة ماسة إلى كتبة ومحاسبين يمسكون دفاتر حساباتهم (زماماتهم) ويخطون المراسلات إلى التجار الذين يتعاملون معهم في بلدان أخرى، وقد دفعهم هذا الاحتياج إلى فتح كتاتيب خاصة لتعليم أبنائهم وأبناء الفقراء الذين لا يملكون دفع ما يطلبه الملا أو المطوع (معلم الكتاب) من نفقات،

وقام كبار التجار بالإنفاق من أموالهم الخاصة على هذه الكتابات التي كانت تقوِّم بتعليم علوم مبدئية في علم الخط والقرآن والحساب^(٩٧) ومع أن حركة الازدهار كانت تسير بسرعة في منطقة الخليج إلا أن هذه الكتابات لم ترق إلى مرتبة المدارس، وظلت على حالها طوال فترة العصور الوسطى وجزءاً من العصور الحديثة.

وفي محيط الزراعة نجد كذلك أن للعلاقات التجارية أثراً كبيراً حيث جلب التجار أنواعاً من الفاكهة أو الحبوب فزرعت في بلدان منطقة الخليج ونمت بها ولعبت دوراً في الحياة الاجتماعية والاقتصادية لدى العرب، فعمان أول بلد عربي إسلامي زرع به النارج والأترج^(٩٨) الذي جلب من الهند، ويحدد المسعودي^(٩٩) الوقت الذي جيء به من الهند والبلاد التي انتقل إليها من عمان فيقول: "... وكذلك شجر النارج والأترج المدور جلب من أرض الهند بعد الثلاثمائة الهجرية وغيرها من الثغر الشامي وأنطاكية وساحل الشام وفلسطين ومصر". كذلك جلب القطن وقصب السكر سنة ١٣٣هـ من الهند^(١٠٠) وعرفت بعض الدول العربية الإسلامية وخاصة العراق هذه الزراعة ومنها نقلت إلى صقلية وقبرص أثناء الحكم العربي لهما، ومن صقلية نقل العرب إلى أسبانيا زراعة القطن ولا يزال يعرف في اللغات الأوروبية باسمه العربي^(١٠١). وقد أقام العرب معامل لتكرير السكر في جنديسابور ثم في سوريا وفلسطين ومصر وشمال أفريقيا وأسبانيا بعد أن عمت زراعة القصب في كل بلدان العالم الإسلامي.

وفي محيط الصناعة نجد أثر التجارة واضحاً، فالصين عرفت صناعة الورق منذ بداية القرن الثاني للميلاد (١٠٥م) ولكنه لم يكن مصقول الصناعة لأنهم كانوا يصنعونه من الحشائش كما يذكر القلقشندي^(١٠٢)، وظلت الصين تحتكر هذه الصناعة والتجارة الورقية إلى أن حاولت سمرقند سنة ٧٥٠م التحرر من حكم العرب لها، وقام الصينيون بثورة عارمة ولكنها أخمدت، ويقال أن

العرب أسروا بعض الصينيين الذين كانوا يعرفون سر صناعة الورق فأفضوا بها إلى العرب، وتأسس أول مصنع عربي سنة ٧٥١م^(١٠٢) ثم انتقلت صناعته إلى بغداد سنة ٧١٤م على عهد الرشيد ثم إلى دمشق ومنها إلى دمياط بمصر ولم يكد القرن العاشر الميلادي ينتصف حتى تعددت وتحسنت صناعة الورق وكثرت أنواعه^(١٠٣) ورخصت أثمانه، وبذلك تحررت الكتابة من احتكار مصر للمادة التي كان يكتب عليها ونعني بها ورق البردي، وذلك بفضل ما أدخله العرب على هذه الصناعة الهامة التي أحدثت انقلاباً في مجال الثقافات والحضارات المختلفة من تعديلات وتحسينات حيث صنعوا الورق من بقايا المنسوجات القديمة (الخرق) وقد استلزم هذا مهارة وحذقاً فنياً توفرت مقوماتهما عند العرب .

وعن طريق التجارة تأثرت صناعة النسيج في بلاد الفرس فمدينة كازرون كانت أكبر مدنها لصناعة الكتان لدرجة أنها كانت تسمى (دمياط الأعاجم) وكان الكتان ينقل بطريق البحر وكانت مراكز صناعته في أول الأمر المدن الساحلية ومن ضمنها بطبيعة الحال مدن الخليج .

ويفهم مما ذكره المقدسي أن زراعة وصناعة الكتان نقلت إلى فارس من مصر قبل أن تقوم فارس بزراعة الكتان عندها^(١٠٤) .

ويذكر برتشنايدر أن الهند كانت مركز زراعة القطن، وأن الصين لم تعرف زراعته حتى القرن الثالث عشر الميلادي، وكانت الهند منذ القرن الرابع الهجري (١٠م) تصدر ثياباً مصنوعة من قطن مشهور بالجودة يصنع منه ما يسمى بالسينيئات^(١٠٥) إلى مدن الفرس وبلاد الصين لأن القطن حتى ذلك الوقت (٤هـ) لم يكن يزرع بالعراق ولا بخراسان ولا بمصر كذلك^(١٠٦) .

كذلك تأثرت صباغة المنسوجات وألوان الملابس بفضل التجارة التي كان من أثرها توحيد شكل الملابس وألوانها، ذلك لأن البلدان الإسلامية عرفت

المادتين الأساسيتين في الصباغة وهما النيلة والقرمز، وقد استعملت أولاهما في الصباغة باللون الأزرق والثانية في الصباغة باللون الأحمر، وكان مصدر النيلة بلاد الهند بمدينة كابل^(١١٧) وما حولها، وكانت أرمينيا (إقليم أرات) مصدر القرمز^(١١٨).

أدى التوسع في العلاقات التجارية إلى التحول من نظام المقايضة إلى معرفة السكة (النقود) وتوصلت البلدان التجارية إلى استعمالها في البيع والشراء^(١١٩)، وكانت العملة السائدة في بلدان ومدن الخليج العربي هي الدرهم والدينار، واستعملت الدراهم بكثرة لأن الدينار كانت قليلة الاستعمال أما الصين فكانت أول بلد في العالم يستعمل العملة الورقية وكانت عبارة عن قطعة من الكاغد بقدر الكف مطبوعة بطابع السلطان وكل خمس وعشرين قطعة منها تسمى شست وتساوي ديناراً واحداً^(١٢٠).

كذلك عرفت أنواع من المكايل والموازين كانت الوحدة السائدة في المعاملات التجارية مثل المن الصغير (٢٦٠ درهماً) والمن الكبير (١٠٤٠ درهماً) وقد اختلفت موازين بعض البلدان مثل الهند التي كان المن فيها يوازي ٣٠٠ درهم واصطخر التي كان المن فيها يوازي ٤٠٠ درهم. أما المكايل فكانت تتضمن الجريب ويوازي ١٦٠ رطلاً والقفيز ويوازي ستة عشر رطلاً، والرطل ١٣٠ درهماً^(١٢١).

وكان من نتائج العلاقات التجارية كذلك أن عرفت البلدان الإسلامية وخاصة بغداد نظام جوازات السفر الذي نقلته عن الصين، والسبب في ذلك كما يرويه صاحب الأغاني أن هارون الرشيد أرسل قائداً على جسر النهروان يتصفح وجوه الناس الداخلين بغداد، وأن يأتيه بالمؤمل الشاعر، ويعني هذا أنه حتى القرن الثاني الهجري (٨م) لم يكن بالشرق العربي نظام لضبط أسماء

الغرباء قبل دخولهم من أبواب المدن . وظل الحال على ذلك حتى القرن الثالث الهجري (٩م) عندما تكلم أحد الرحالة المسلمين عن نظام جوازات المرور المعروف بالصين^(١١٣)، ولما استقرت الفكرة في الأذهان أدخل السلطان عضد الدولة نظام مراقبة أبواب عاصمة بلاده (شيراز) لأول مرة في القرن الرابع الهجري (١٠م) ويبدو أن الناس تضايقوا من أمر هذه الجوازات لأننا نجد المقدسي^(١١٣) يعبر عن هذا الضيق بقوله : "ومنع الخارج منها إلا بجواز، وحبس الداخل والمجتاز" .

هناك نتيجة هامة وأثر بارز من آثار العلاقات التجارية في بعض الجوانب الحضارية ونعني به انتشار الدين الإسلامي في بعض جهات من بلدان الشرق الأقصى، حيث تكونت جاليات عربية وإسلامية واستقرت ونمت في كثير من أطراف الصين والهند، وقد لعبت هذه الجاليات دوراً بارزاً نشطاً في نشر الإسلام بهذه المناطق البعيدة، كما كانت عاملاً فعالاً في تهذيب أخلاق الناس، والحفاظ على أعراضهم وكرامتهم، فحرمت الأعراض على الغرباء إلا بالزواج وكانت قبل ذلك مباحة^(١١٤) وأصبح شرب الخمر محظوراً بعد أن كان يحتسيه الكبير والصغير .

انفردت هذه الجاليات الإسلامية في مدن الهند والصين بسكناهم وكان لهم في كل مدينة حي يقيمون فيه مساجدهم لإقامة شعائرهم الدينية، وكانوا معظومون محترمون، وكان لكل جالية رئيس منهم يتولى أمرهم، ويقيم القضاء فيهم، وينظر في شئونهم ومصالحهم وكانوا لا يقبلون غير حكم المسلمين فيهم، ولا يقبلون إلا شهادة المسلمين عليهم^(١١٥) .

هذه دراسة موجزة عن العلاقات التجارية وأهميتها بين دول الخليج وبلدان الشرق الأقصى أوضحت فيها أن العامل التجاري بكل جوانبه كان سبباً

في نقل بعض الجوانب الحضارية من هذه البلدان البعيدة إلى العالم العربي الإسلامي، وأن دور الإنسان العربي في تقبل هذه الجوانب الحضارية وضمها وصهرها في البوتقة العربية الإسلامية واستخراج جديد منها للعالم يتميز عن سابقه من الحضارات السابقة بما يتلاءم مع البيئة العربية والشرعية الإسلامية يرجع إلى قدرته الذاتية واستعداده الفطري وتوفر الإمكانيات ووجود الفرصة المناسبة لذلك .

وغرضي من وراء هذه الدراسة هو تبيان الحقيقة بأنه لا ضير مطلقاً على أي حضارة أن تتأثر من حضارات سابقة عليها أو معاصرة لها طالما هي تطور هذه الحضارات لمصلحة المجتمع الإنساني نفسه بما يتمشى مع روح التقدم والازدهار، وأن الذين يتعصبون لحضارة ما من الحضارات وينكرون تأثرها بأي نوع من الحضارات لا يرفعون بتعصبهم هذا من قيمة ما يتعصبون له، بل على العكس من ذلك فهم يجعلونه كما لو كان نبتاً شيطانياً ليس له جذور أو أصول يستمد منها الحياة . ومع اعترافنا بما للحضارات الأخرى من أثر في الحضارة العربية فإننا نقرر مطمئنين أن الحضارة العربية الإسلامية قد أثرت في كثير من جوانب الحضارات الأخرى مما نلمس أثره إلى يومنا هذا .

دكتور أحمد الشامي

مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية التربية والمعلمين - الدوحة - قطر

هوامش وتعليقات

- ١ - القلقشندي : صبح الأعشى، ج ٢، ص ٥٥ .
- ٢ - ابن حوقل : صورة الأرض، ص ٣٨ .
- ٣ - المقدسي : أحسن التقاسيم، ص ٣٨ .
- ٤ - ابن بطوطة : الرحلة، ص ٢٦٦-٢٦٧ .
- ٥ - المرجع السابق، ص ٢٧١ .
- ٦ - الأباضية : فرقة من الخوارج تبعوا عبد الله بن أباض المري .
- ٧ - المسعودي : مروج، ج ١، ص ١٩١ .
- ٨ - المقدسي : ص ٤٦٦ .
- ٩ - ابن حوقل : ص ٥٥ ؛ ابن بطوطة ص ٢٧٣ .
- ١٠ - مفردة (سبخه) وهي أرض ذات نز وملح .

١١ - Al-Balkki: Description of the Province of Fars in Persia at the beginning of the Fourteenth Century. Trans. By G. Le Strange, PP. 41-43, Royal Asiatic Society, London 1912.

- ١٢ - المقدسي : ص ٤٢٦-٤٢٧ ؛ ياقوت : ج ٣، ص ٢٩٤-٢٩٥ .
- ١٣ - نقولا زيادة : الجغرافيا والرحلات عند العرب، ص ١٤٨ .
- الأصبخري : مسالك الممالك، ص ١٣٨ وما بعدها .
- آدم سيقز : الحضارة العربية، ص ٤٣٩ ؛ بزرگ بن شهریار : كتاب عجائب الهند، ص ٩٨ .
- ١٤ - ياقوت : ج ٣، ص ٢٩٤ وما بعدها .
- ١٥ - المسعودي : مروج، ج ١، ص ١٠٧-١١٢ ؛ ابن خرداذبه : المسالك والممالك، ص ٦٠ .
- ١٦ - ياقوت : ج ٤، ص ٣٧٣ .
- ١٧ - لوريير : دليل الخليج، ج ٢، ص ٦٢٨-٦٢٩ .
- ١٨ - المرجع السابق، ج ٦، ص ١٩٤١ .

- ١٩ - لوريير : نفسه ج ٦ ، ص ١٩٨٨-١٩٩١ .
- ٢٠ - ياقوت : ج ٤ ، ص ٣٧٣ .
- ٢١ - لوريير : نفسه ج ٥ ، ص ١٧١٩-١٧١٨ ، ج ١ ، ص ٣٨٥-٣٨٧ ، ٤٢٩ .
- ٢٢ - حسن سليمان محمود : الكويت ، ص ١٣٩ ؛ الطبري : ج ١ ، ص ١٧٤ ؛ القزويني : آثار البلاد ، ص ٧٧-٧٨ ؛ ويقول ياقوت (ج ٤ ، ص ١٥٠) عنهم أنهم روافض سبائيون لا يكتمون ذلك .
- ٢٣ - المقدسي : ص ٩٣ .
- ٢٤ - راجع ما ذكره ابن بطوطة (الرحلة ، ص ٢٧٩-٢٨٠) عن ملابس الغواصين وطريقة نزولهم إلى البحر ، وما يحملونه معهم من أشياء لوضع اللؤلؤ فيها وقد نقل د. نيقولا زيادة (ص ٢٣٢) نقلاً عن ناصري خسرو (سفرنامه ، ص ٩٢) أن سلاطين الأحساء كانت تأخذ نصف ما يستخرجه الغواصون ، ولكنني أميل إلى الرأي القائل بأن السلاطين كانت تحصل على الخمس لأنه يتفق ونظام الضريبة (الأخماس) في الإسلام .
- ٢٥ - جورج حوراني : العرب والملاحة ، ص ١١٤ (مترجم) .
- ٢٦ - حسن سليمان محمود : ص ١٣٨ .
- ٢٧ - ابن بطوطة : ص ١٨٥-١٨٦ .
- ٢٨ - القزويني : آثار البلاد ، ص ٣٠٩ .
- ٢٩ - اليعقوبي : البلدان ، ص ٢٣٨ ، ٢٥٠ .
- ٣٠ - حسن محمود : ص ٤٠ .
- ٣١ - القزويني : ص ٢٨٦-٢٨٧ .
- ٣٢ - البلاذري : فتوح ، ق ٢ ، ص ٤٣٨ .
- ٣٣ - ابن بطوطة : ص ١٨٩ .
- ٣٤ - ياقوت : ج ٤ ، ص ٧٤-٧٥ .
- ٣٥ - الجهشيارى : الوزراء ، ص ٧٣ ؛ ابن بطوطة : ص ١٨٩-١٩٠ .

- ٣٦ - الأصطخري : ص ٣٣-٣٤ .
- ٣٧ - المقدسي : ص ١١٨ .
- ٣٨ - ياقوت : إرشاد الأريب ج ١ ، ص ٧٧ .
- ٣٩ - أحمد بن ماجد : ثلاث أزهار ، ص ١٧٩ .
- ٤٠ - Bell; Aphrodito papyri (J.H.S.) P. 115; Der Islam, 1953.
- ٤١ - Grohmann, A; Arabien, Munchen 1963.
- ٤٢ - ابن رسته : الأعلام النفسية ، ص ٩٥ .
- ٤٣ - البلاذري : ص ٤١٩ .
- ٤٤ - الطبري : تاريخ ، ج ٣ ، ص ٣٤٨ .
- ٤٥ - راجع ما كتبه كل من يوري ، وكوزماس انديكوبلوتس عن هذا الموضوع :
- a) Bury, J.B.; History of the Later Roman Empire, London 1932.
- b) Cosmas Indicopleustes; Christian Topography.
- ٤٦ - مؤرخ لاتيني عاش في أواخر القرن الرابع الميلادي ، راجع حوراني ص ٩١-٩٢ .
- ٤٧ - Bell; Aphrodito papyri (J.H.S.) P. 115; Der Islam, II
- ٤٨ - معلقة طرفة بن العبد ، الأبيات من ٣ - ٥ ، وكلمة (عدولية) نسبة إلى عدوله وهي قرية بجزر البحرين . ياقوت : ج ٣ ، ص ٦٣٣ .
- ٤٩ - البلاذري : ص ٥٣٠ .
- ٥٠ - يسميها النجارون البحرليون التقيصة والعيدان .
- ٥١ - عبد الرحمن بدوي : دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي ، ص ٢٤٥ .
- ٥٢ - Duden Bild - Worter - Buch 38.
- ٥٣ - Wilson, Arnold; The Persian Gulf, P. 134. Oxford 1928.
- ٥٤ - يوجد حالياً ما هو قريب من هذا الوصف ومخصص كذلك لنقل البضائع من الموانئ إلى المدن الداخلية عن طريق الأنهار ويسميه البحارة ماعون (والجمع مواعين) .

٥٥ - لمعرفة المزيد من التفاصيل عن هذه المراكب ارجع إلى المصادر الآتية :

الطبري : ج ٣ ، ص ٩٥٢ وما بعدها ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٧٧ ؛ آدم ميتز : الحضارة ، ج ٢ ، ص ٣٩٤ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٢٧٥ ؛ البغدادي : مرصد الاطلاع ؛ الجهشاري : الوزارة ؛ حوراني : ص ١١٥ ؛ أحمد بن فضلان : رسالة ابن فضلان ؛ عبد الأمير محمد أمين : القوى البحرية ؛ الأخطري : مسالك ؛ المسعودي : مروج ؛

Lorimer, G.G.; Guide of Gulf, Part II, P. 2321.

٥٦ - القرآن الكريم : سورة هود ٣٧/١١ ، ٤١ .

٥٧ - القرآن الكريم : سورة القمر ١٣/٥٤ - ١٤ .

٥٨ - القرآن الكريم : سورة النحل ١٤/١٦ .

٥٩ - الأخطري : ص ٣٤-٣٥ .

٦٠ - حوراني : ص ١٠٠ .

٦١ - المسعودي : ج ١ ، ص ٢٣٤ ؛ ج ٣ ، ص ٦ وما بعدها .

Chau- Ju- Kua; Chinese and Arab Trade, P. 137.

٦٢ -

٦٣ - الأخطري : ص ٣٤-٣٥ ؛ المقدسي : ص ١٨٠ ، ٢٠٣ .

٦٤ - الطبري : ج ٣ .

٦٥ - آدم ميتز : ج ٢ ، ص ٣٧١-٣٧٠ .

٦٦ - راجع انتكاسة التجارة في الخليج العربي ، أديسون : تجارة العصور الوسطى ص ٥٧

Adeson; Medieval Commerce, P.57, New York 1961

Archibald, Lewis; Naval Power and Trade in the Mediterranean, A.D. 500-1100, P. 171, New Jersey 1951.

٦٧ - ابن خرداذبه : ص ٦٤-٦٩ ؛ آدم ميتز ، ص ٢٧١ .

٦٨ - المسعودي : ج ١ ، ص ١١١-١١٢ ، ١٥٢ .

٦٩ - المسعودي : ج ١ ، ص ١٥٠ ؛ ياقوت : ج ١ ، ص ٣٤٣ .

- ٧٠ - آدم ميتز : ص ٣١٤ نقلاً عن سلسلة التواريخ (طبعة Renaud) ص ٣٦ .
- ٧١ - الهمداني : ص ٢١٩ ، ٢٥٤ .
- ٧٢ - الأصطخري : ص ١٥٤-١٥٥ .
- ٧٣ - ابن بطوطة : ص ٦٢٧-٦٢٩ .
- ٧٤ - المرجع السابق ص ٢٥٩-٢٦٠ ، ٣٣٩ .
- ٧٥ - المرجع السابق ص ٦٢٩ .
- ٧٦ - المروزي : أبواب الصين ، ص ١٠ ؛ ابن بطوطة : ص ٢٥٤ .
- ٧٧ - كان المسلمون يطلقون في القرن الثالث الهجري (٩م) على التجار 'نيهود' "تجار البحر" فقط وكان يقال لهم "الرهانية أو الراذاتية" . راجع الهمداني : ص ٢٧٠ وابن خرداذبه ص ١٥٣ وما بعدها .
- ٧٨ - آدم ميتز : ص ٤٣١-٤٣٢ .
- ٧٩ - نيقولا زياده : ص ١٤٧-١٤٨ .
- ٨٠ - محمد كرد علي : ص ١٨٠ .
- ٨١ - الخربوطلي : ص ٧٤-٧٥ ،
- ٨٢ - كريم : الحضارة ، ص ٧٨ ؛ الخربوطلي : ص ١٠١ .
- ٨٣ - Wilson, Arnold; The Persian Gulf, P.P. 105-106. وكذلك نيقولا زياده ص ٢٤١ .
- ٨٤ - الأصطخري : ص ٨٣ .
- ٨٥ - المسعودي : ج ٤ ، ص ٨٧ ؛ اليعقوبي : ص ٢٦٦ .
- ٨٦ - المقرئ : الخطط ، ج ١ ، ص ٣١٥ .
- ٨٧ - أحمد فكري : مساجد القاهرة - المدخل ، ص ١١١ ، ٢٣٧-٢٣٨ .
- ٨٨ - Hell., J.: The Arab Civilization, PP. 70-71; Geirut 19١3.
- ٨٩ - بارتولد . ف : الحضارة ، ص ٢١ .

٩٠ - Sarre U. Herzfeld; Erester Vorläufiger Bericht über Ausgrabungen von Samarra, S. 24 Berlin 1912.

٩١ - المسعودي : ج ٣ ص ٢٩ .

٩٢ - جوستاف ليون : حضارة العرب، ص ٦١٤ .

٩٣ - الجواليقي : المعرب تحت حرف الدال، والراء، والنون ، وكذلك قاموس دوري ، Persieh, Deutsch- Worterbuch

٩٤ - Oxford Dictionary; New English Dictionary on Historical Principles, and Taylor, W.; Arabic Words in English S.P.E. Tract No. 38.

٩٥ - أحمد أمين : فجر الإسلام، ص ١٣٩ .

٩٦ - عبد المجيد مصطفى : ص ٣١٣ وما بعدها ؛ حسن محمود : ص ٢٥٢-٢٥٣ .

٩٧ - راجع وصف هذه الفاكهة عند ابن حوقل ص ٢٢٨ .

٩٨ - المسعودي : ج ٢ ص ٤٣٨-٤٣٩ ؛ المقرئ : ج ١ ص ٢٨ .

٩٩ - جوستاف ليون : ص ١٦٩ وما بعدها ويرى ابن حوقل (ص ٢٢٣ و ٣٢٨) أنه حتى القرن الرابع الهجري (١٠م) لم يكن القطن يزرع بالعراق ولا بخراسان ولا بمصر كذلك .

٩٩م - بارتولد : ص ٨٠ .

١٠٠ - القلقشندي : ج ٢ ص ٤٧٥ .

١٠١ - يرى جوستاف ليون وجورج يعقوب أن العرب هم أول من صنع الورق، وأنهم أول من استعمل الكاغد بدلاً من الرق، ويستدلان على ذلك بالمخطوطة التي عثر عليها في مكتبة الاسكوريال بمدريد، والمدونة سنة ١٠٠٩م على ورق مصنوع من القطن، ونحن لا نميل إلى هذا الرأي إذ الثابت حتى الآن أن صناعة الورق بدأت في الصين سنة ١٠٥م، وأن العرب لم يعرفوا صناعته إلا بعد ما يزيد على ستة قرون، ولكنهم تمكنوا من تطوير هذه الصناعة، وإدخال تحسينات وتعديلات جذرية عليها منذ القرن ٣هـ (٩م) حتى ظن البعض أن العرب هم أول من أقام هذه الصناعة .

١٠٢ - آدم ميتز : ج ٢ ص ٢٠٩، ٣٠٥، ٣٠٨، وربما كان هذا القول من قبيل التعميم بدليل أن أوراق البردي العربي ظلت مستعملة في الكتابة إلى حوالي القرن ٦هـ (١٢م) ومجموعات البردي

المختلفة بها العديد من الوثائق التي يرجع تاريخها إلى هذا القرن . راجع بحثنا عن أوراق
البردي العربي من مجموعة هذه البحوث .

١٠٣ - المقدسي : ص ٤٣٣-٤٣٥ ، ٤٤٢ .

Bretschneider; Ne diaeval Researches. I, PP. 70-71.

١٠٤ -

١٠٥ - ابن حوقل : ص ٣٢٨ ، ٢٢٣ .

١٠٦ - المرجع السابق .

١٠٧ - الأصطخري ص ١٨٨-١٩٠ .

١٠٨ - عباس المزوي : النقود العربية في العراق .

١٠٩ - ابن بطوطة : ص ٦٢٩ .

١١٠ - الأصطخري : ص ١٥٦ .

١١١ - الأصفهاني : الأغاني ج ١٩ ، ص ١٤٧ .

١١٢ - آدم ميتز : نقلاً عن سلسلة التواريخ ، ص ٤٢ (طبعة Renaud) .

١١٣ - المقدسي : ص ٤٢٩ .

١١٤ - ابن خرداذبه : ص ٦٦-٦٧ .

١١٥ - ابن حوقل : ص ٢٢٥ وما بعدها ، وابن خرداذبه : ص ٧٥ .

المراجع العربية

- ١ - ابن الأثير : أبو الحسن عز الدين بن الأثير الجزري
الكامل في التاريخ (١٢ جزءاً) بيروت سنة ١٩٦٧ .
- ٢ - ابن بطوطه : أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي (شمس الدين)
رحلة ابن بطوطه - بيروت سنة ١٩٦٤ .
- ٣ - ابن حوقل : أبو القاسم محمد
كتاب صورة الأرض، بيروت (بدون تاريخ) .
- ٤ - ابن خرداذبه : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله
المسالك والممالك، صورة مصورة على نسخة من ليدن سنة ١٨٨٩ م .
- ٥ - ابن خلدون : عبد الرحمن
المقدمة، القاهرة ١٩٢٢ م .
- ٦ - ابن رسته : أبو علي أحمد بن عمر
الأعلاق النفيسة، ليدن سنة ١٨٩١ م .
- ٧ - أحمد أمين
فجر الإسلام، ط ٤ / النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٦ م .
- ٨ - أحمد بن فضلان
رسالة ابن فضلان، المجمع العلمي العربي، دمشق سنة ١٩٥٩ .
- ٩ - أحمد بن ماجد
ثلاث أزهار في معرفة البحار، تحقيق ستوبوفسكي، ترجمة د. محمد منير موسى، عالم
الكتبة القاهرة سنة ١٩٦٩ .
- ١٠ - أحمد فكري (دكتور)
مساجد القاهرة (المدخل) القاهرة سنة ١٩٦١ .
- ١١ - آدم ميتز
الحضارة العربية في القرن الرابع الهجري (جزءان) ترجمة أبو ريده، ط ٤، بيروت سنة
١٩٦٧ م .
- ١٢ - الأصطخري : أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي
مسالك الممالك، ليدن سنة ١٩٢٨ م .
- ١٣ - الأصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد

- كتاب الأغاني (٢١ جزءاً) دار الفكر، سنة ١٩٧٠ .
- ١٤ - بارتولد ف
- تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة حمزة طاهر، المعارف سنة ١٩٤٣ .
- ١٥ - بدوي : عبد الرحمن (دكتور)
- دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي، الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٧ .
- ١٦ - يزرك بن شهریار
- كتاب عجائب الهند .
- ١٧ - البغدادي : صفی الدين عبد المؤمن بن عبد الحق
- مراسد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، القاهرة سنة ١٩٦٥ م .
- ١٨ - البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر
- كتاب فتوح البلدان (ثلاثة أقسام) النهضة بمصر سنة ١٩٦٥ .
- ١٩ - الجواليقي : أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد الخضر
- المعرب من الكلام الأعجمي، دار الكتب المصرية سنة ١٩٦٩ .
- ٢٠ - جوستاف لبون
- حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة ١٩٤٨ .
- ٢١ - حسن سليمان محمود (دكتور)
- الكويت ماضيها وحاضرها، الأهلية بغداد سنة ١٩٦٨ م .
- ٢٢ - حوراني : جورج فضلو (دكتور)
- العرب والملاحه في المحيط الهندي، ترجمة السيد يعقوب بكر، القاهرة ١٩٥٨ م .
- ٢٣ - الخربوطلي : علي حسني (دكتور)
- العرب والحضارة، الأنجلو، القاهرة سنة ١٩٦٦ .
- ٢٤ - زياده : نقولا (دكتور)
- الجغرافيا والرحلات عند العرب، بيروت سنة ١٩٦٢ م (دار الكتاب اللبناني) .
- ٢٥ - الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري
- تاريخ الرسل والملوك (١٠ أجزاء) المعارف سنة ١٩٧٠ .
- ٢٦ - طرفة بن العبد
- معلقة طرفة، (ديوان) صادر بيروت سنة ١٩٦١ م .
- ٢٧ - عباس عزاي
- النقود العربية في العراق، بغداد (. .) .
- ٢٨ - عبد الأمير محمد أمين (دكتور)

- القوى البحرية في الخليج العربي في القرن ١٨م، بغداد سنة ١٩٦٦م .
- ٢٩ - عبد العزيز الرشيد
تاريخ الكويت، بيروت سنة ١٩٧١م .
- ٣٠ - عبد المجيد مصطفى
دراسات عن الكويت، القاهرة سنة ١٩٦٤م .
- ٣١ - القزويني : زكريا بن محمد بن محمود
آثار البلاد وأخبار العباد، صادر بيروت، سنة ١٩٦٩م .
- ٣٢ - القلقشندي : أبو العباس أحمد
صبح الأعشى في صناعة الإنشا (١٤ جزءاً) دار الكتب المصرية سنة ١٩١٩م .
- ٣٣ - لوريمر ج - ج
دليل الخليج - القسم الجغرافي (٧ أجزاء) ترجمة مكتب سمو أمير قطر، الدوحة، (بدون تاريخ).
- ٣٤ - المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي
مروج الذهب ومعادن الجوهر (٤ أجزاء)، التجارية بمصر سنة ١٩٦٤م .
- ٣٥ - مظهر : جلال
حضارة الإسلام وأثرها في الترقى العالمي، القاهرة (بدون تاريخ).
- ٣٦ - المقدسي : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط ٢، ليدن سنة ١٩٠٦ .
- ٣٧ - المقرئزي : أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
الخطط (المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) صادر - بيروت (بدون تاريخ) .
- ٣٨ - الهمداني : أبو بكر أحمد بن محمد المعروف بابن الفقيه
مختصر كتاب البلدان، ليدن ١٨٨٥م .
- ٣٩ - ياقوت : أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي
معجم البلدان (٥ أجزاء) صادر - بيروت سنة ١٩٧٥م .
- ٤٠ - اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب
كتاب البلدان، ط . دي جويه، ليدن سنة ١٨٩٣م .

المراجع الأجنبية

EUROPAISCHE HILFSQUELLEN

- 1 - Adeson; Medieval Commerce, P.57, New York 1961
- 2 - Archibald, Lewis; Naval Power and Trade in the Mediterranean, A.D. 500 - 1100, P. 171, New Jersey 1951
- 3 - Al-Balkhi; Description of the Province of Fars in Persia at the beginning of the Fourteenth Century. Trans. by Le Strange, G., PP. 41-43 Royal Asiatic Society. London 1912
- 4 - Bell; Aphrodito papyri (J.H.S.) 115, Der Islam, II 1953
- 5 - Bretschneider; Medieval researches, I, S. 70-71
- 6 - Bury, J.B.; History of the later Roman Empire, London 1923
- 7 - Chau-Ju-Kua; Chinese and Arab Trade in the 12th and 13th Centuries. Trans. F. Hirth. W. Rochill, 1914
- 8 - Duden - Bild- Worterbuch, 3 B.
- 9 - Grohmann, A.; Arabien, munchen 1963
- 10 - Hell, Joseph; The Arab Civilization, Beirut 1973
- 11 - Indiorpleustes, Cosmas; Christian Topography,
- 12 - Oxford Dictionary; New English Dictionary on Historical principles.
- 13 - Persisch-Deutsch-Worterbuch. Berlin 2 Ausgabe
- 14 - Sarre und Herzfeld; Erster vorlaufiger Bericht Uber die Ausgrabungen Von Samarra, S.24, Berlin 1912.
- 15 - Taylor, W.; Arabic Words in English, S.P.E. Tract No 38